مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

حوار مع ميِّت

كوسوفا بين ضربات الناتو ومذابح الصرب

الهجرة باقية

السنة الثامنة والعشرون - العدد الأول - محرم ١٤٢٠
الثمن ٧٥ قرشا

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين

هاتف ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

الاشتراك السنوي :

١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية داخلية باسم : مجلة التوحيد- على مكتب بريد عابدين .

٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بنكية أو شيك ، على بنك فيصل الإسلامي- فرع القاهرة- باسم: مجلة التوحيد- أنصار السنة (حساب رقم/ ١٩١٥٩٠).

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام : حقيقة العلم ٢

كلمة التحرير : رئيس التحرير : الإسلام دين الحق وما سواه باطل ٦

باب التفسير : د . عبد العظيم بدوي : الهجرة باقية ١٠

باب السنة : الرئيس العام : الشفاعة ١٤

تنكيس الأعلام وتعطيل الأعمال من البدع المحرمة :

سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٢١

موضوع العدد : الوضوء بين العلم والدين : د . محمد السقا ٢٢

قصيدة : تحية العام الهجري الجديد : بقلم الشيخ نجاتي عبد الرحمن ٢٥

أسئلة القراء عن الأحاديث : الشيخ أبو إسحاق الحويني ٢٦

الفتاوى : لجنة الفتوى ٣٠

من مكارم الأخلاق : مهندس / محمد ياسين ٣٥

العالم الإسلامي : جمال سعد حاتم :

كوسوفا بين ضربات الناتو ومذابح الصرب ٣٦

باب السيرة : الشيخ عبد الرازق السيد عيد : تأويل رؤيا يوسف ٤٠

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة : أ / محمود المراكبي ٤٤

حوار مع ميت : أيمن محمد الصيحي ٤٩

وكان حقًا علينا نصر المؤمنين : الشيخ أسامة سليمان ٥٠

بعث أمة الإسلام : الشيخ مجدي قاسم ٥٤

روائع الماضي : الشيخ أبو الوفاء درويش : عبرة الهجرة ٥٨

باب اللغة العربية : د . سيد خضر ٦٢

التحرير

٨ ش قولة ☎ ٣٩٣٦٥١٧ قسم التوزيع والاشتراكات

عابدين - القاهرة فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢ ☎ : ٣٩١٥٤٥٦

مع القـراء

الهجرة الحقيقية

قال ابن القيم ، رحمه الله :

الهجرة هجرتان :

❋ هجرة إلى اللّه بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجوء والافتقار في كل نفَسٍ إليه .

❋ وهجـرة إلـى رسـوله ﷺ فـي حركاتـه وسـكناته الظاهرة والباطنة ، بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل ما يحبه اللّـه ويرضـاه ، ولا يقبل اللّـه من أحد دينًا سواه .

رئيس التحرير

الإخوة كُتاب المجلة

نسعد بتلقي كتاباتكم ومشاركاتكم في المجلة برجاء كتابة المقالات بخط واضح أو على الآلة أو الكمبيوتر فيما لا يزيد على ثلاث صفحات فلوسكاب .

وجزاكم اللّـه عنا خير الجزاء

سكرتير التحرير

• التوزيع الداخلي :

مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة .

ثمن النسخة : السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ، السودان ١,٥٠ جنيـه مصـري ، العـراق ٧٥٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، مصر ٧٥ قرشًا ، عمان نصف ريال عماني .

حقيقة العلم

الحمد لله عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدًا ، علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، قدم العلم والعلماء ، فقال سبحانه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد : ١٩] ، وقال سبحانه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

والعلم علمان :

علم جاء به الوحي : وهو العلم الشرعي لا يدخله الظن إلا من الجانب البشري ؛ لأن الأصل فيه اليقين ، وبقدر دخول الجانب البشري يدخل الظن ، فإن كان في النقل كان الظن في الثبوت ، وهو من الخبر ما كان دون المتواتر ، ومنه الصحيح وهو الظن الراجح والضعيف وهو الظن المرجوح . وقد يكون يقيني الثبوت ، لكن الدلالة قد تكون اجتهادًا بشريًا ، فيدخلها الظن ، وذلك العلم الذي يتميز به المؤمنون عن غير المؤمنين .

وعلم جاء بالتجربة : وهو أيضًا تعليم من الله لخلقه بطريق الإلهام ، لما في المادة من خواص ، وهو العلم التجريبي وهو الذي يشترك فيه المؤمن والكافر ، والواقف عنده لا يتعداه ولا يضبطه بالعلم الإلهي من وحي الأنبياء والمرسلين هم الذين عناهم رب العزة سبحانه بقوله : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۞ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم : ٧، ٨] .

وهذا العلم هو الذي أعطاه الله للكافرين وكان يتبجح به من الكافرين : فرعون ، وهامان ، وقارون ، كما قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص : ٧٦- ٧٨] .

ووصف الله تعالى من أمم الكافرين من جمعوا من العلوم التجريبية مع كفرهم في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [الفجر : ٦- ١٣] .

□ العلماء ثلاثة : عالم بالله عالم بأمره ، وعالم بالله ليس بعالم بأمره ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ، فالعالم بالله وبأمر الله يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض .

□ العلم الإلهي جاءنا بما لا طاقة للعلم التجريبي أن يحيط به ، والآيات دالة على أنه خلق الأرض في يومين ، ثم دحا الأرض بعد خلق السماوات ، وأرسى الجبال في يومين .

وقد تحلى بها أقوام من المؤمنين ، فكانت في أيديهم قوة وعونا على الحق مثل ذي القرنين : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۞ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [الكهف : ٩٤ - ٩٧] .

وإن الله قد يغني بعض خلقه عن هذه العلوم التجريبية فتكون لهم بفضل الله بأسباب من عند الله سبحانه ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ [سبأ : ١٠ - ١٢] .

وغير ذلك من آيات سليمان وشق البحر لموسى ، وإبراء الأمراض المستعصية لعيسى عليه السلام ، وشفاء أيوب عليه السلام من أسقامه .

لكن الكافرين لا يستغنون بالعلوم التجريبية عن العلوم الشرعية ، بل حياتهم لا تدخلها السعادة بدونها : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٧، ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه : ١٢٣، ١٢٤] .

فاللّه الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأخرج المرعى ، جعل الأرض والسماوات تسير على قوانين قدرها سبحانه ، وقدر أن يتعرف الإنسان على بعض هذه العلوم ، وأن يستخدمها لينتفع بها ، وهذه العلوم تتفاوت من عصر إلى عصر ، فمن العلوم ما كان فاشيًا ثم اندثر كعلم البناء عند الفراعنة ، وعند قوم عاد وثمود ، حيث كانوا يبنون الأهرامات : ﴿ .. فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ ، حتى طمع فرعون في بناء يصل إلى أسباب السماء ، ووصف رب العزة قوم عاد بقوله : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٧، ١٢٨] ، ووصف ثمود بقوله : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾ [الشعراء : ١٤٩] .

ومن العلوم ما لم يكن معلومًا ثم علّمه اللّه لبعض خلقه ، مثل العلوم الحديثة في الطب والاتصالات والطيران وغيرها ، وهنا ننبه على أمور :

الأول : لا يوصف بالعلم إلا من كان معه علم شرعي يضبط سلوكه وفعله ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٧، ٢٨] .

فذكر طرفًا من العلوم الكونية ، وأتبعه بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

فمن لم تقع له الخشية المرشدة لسلوكه بالشرع ، فلا يعد من العلماء ، ولا يسمى عالمًا ، إنما قد يعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا .

وجاء في ابن كثير قال : كان يقال : العلماء ثلاثة : عالم باللّه عالم بأمره ، وعالم باللّه ليس بعالم بأمره ، وعالم بأمر اللّه ليس بعالم باللّه ، فالعالم باللّه وبأمر اللّه الذي يخشى اللّه تعالى ويعلم الحدود والفرائض .

الثاني : أن العلم الإلهي جاءنا بما لا طاقة للعلم التجريبي أن يحيط به ، فاللّه سبحانه أعلمنا بشرعه أن السماوات سبع ، وأن الأراضين سبع ؛ لقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [التحريم : ١٢] ، وبين ربنا سبحانه مدة الخلق وترتيب ذلك : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ

سمَاء أمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ٩- ١٢] ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۞ وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠- ٣٣] .

قال في « المفردات » : الرتق : الضم والالتحام خلقة كان أو صنعة : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ : أي منضمتين .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩] . وقال تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ [النازعات : ٢٧- ٣٢] .

فالآيات دالة على أنه خلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماوات في يومين ، ثم دحا الأرض بعد خلق السماوات ، وأخرج منها الماء والمرعى ، وأرسى الجبال في يومين ؛ أي أن اللَّه خلق الأرض في يومين ، وخلقها غير مدحوة ، ثم خلق السماوات فسواها في يومين ، ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي ، وغيرها في يومين ، فتلك أربعة أيام للأرض ، وهذا الجمع هو الذي ساقه ابن عباس في جوابه على السائل ، وجاء في البخاري في تفسير سورة « فصلت » : فانظر كيف جاءت هذه الآيات بما لا يمكن للعقل إثباته ، وإنما يكون إثباته بالسمع ووحي اللَّه لأنبيائه .

فإذا علمنا بالشرع أن الأرضين سبع ، فنحن نحيا على بعض واحدة من السبع، وعلمنا جزءًا يسيرًا منها ، والسماوات سبع ولا علم لنا بشيء من السبع إلا بطريق الوحي ، وأقصى ما نستطيعه من علم إنما هو عن الكواكب السيارات والنجوم التي هي دون السماء الدنيا ، حيث جعلها اللَّه لحكم منها ما يمكننا معرفته كقوله : ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ [فصلت : ١٢] ، ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات : ٦] ، ومما يمكننا معرفة الاهتداء بها : ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل : ١٦] ، ومنها ما لا نعرفه إلا بالوحي كقوله تعالى : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات : ٧] ، ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن : ٨] .

هذه بعض لمحات لنعرف مقدار العلوم التي حصلها جهابذة البشر وقادتهم ومفكروهم في علم اللَّه تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

واللَّه من وراء القصد .

كلمة التحرير

بقلم

رئيس التحرير

صفوت الشوادفي

الإسلام دين الحق..

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] ، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى رسل الله أجمعين .. وبعد :

فقد أشرف فجر عام جديد ، فوجد الأرض قد ملئت ظلمـًا وجورًا ، بعد أن ملأها الإسلام - قبل ذلك - عدلاً وفضلاً .. وأمتنا اليوم لا ينفعها ، ولا يغير من واقعها أن تحتفل بالهجرة النبوية الشريفة ! ولكننا - اليوم- بحاجة ماسة إلى وقفة جادة مع أنفسنا لنضع أقدامنا التي زلت عبر السنوات على بداية الطريق الصحيح ، ونضع نصب أعيننا هدفين جليلين عظيمين :

أولهما : أن يعود المسلمون إلى الإسلام الحق الذي أنزله الله !!

والثاني : أن نقدم الإسلام من جديد للبشرية الحائرة في صورته الصحيحة التي شوهها انصراف أتباعه عنه !! وتحذير أعدائه منه !!

من أجل هذا فإننا نحتاج مع بداية العام الجديد أن نتدارس مجموعة من الحقائق حول الإسلام نسوقها كما يلي :

❋ الحقيقة الأولى :

معنى الإسلام : هو إسلام الوجه لله تعالى ؛ بمعنى التذلل لطاعته ، والإذعان لأمره ، والخضوع الكامل له بالجوارح ظاهرًا وباطنًا ، والخلوص من الشرك بكل صوره وأشكاله ، قال تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ١١٢] .

ويعني هذا أن الإنسان في ظل الإسلام يكون عبدًا كامل العبودية لله ؛ رجاؤه في الله ، وخوفه من الله ، وقلبه معلق بالله ، لا يلتفت إلى أحد سواه ! فيدرك في ظل الإيمان الأمن والأمان الذي يبحث عنه كل البشر ، ولا يدركه إلا المؤمنون الصادقون !!

❋ الحقيقة الثانية :

الإسلام دين جميع الأنبياء ، عليهم السلام ؛ وهي حقيقة هامة ينبغي أن يعرفها كل مسلم ، وأن يعلنها للناس ، فجميع الأنبياء والمرسلين من آدم ونوح إلى محمد ، عليه وعليهم أجمعين الصلاة والسلام ، مسلمون مؤمنون موحدون ، ولا يوجد في الأنبياء نبي يهودي ، ولا نبي نصراني ، ولا غير ذلك إلا الإسلام !

وبهذا نطق القرآن ، وبينت السنة الصحيحة .

وما سواه باطل !!

أشرف فجر عام جديد، فوجد الأرض قد ملئت ظلمًا وجورًا بعد أن ملأها الإسلام قبل ذلك عدلاً وفضلاً، ونحن بحاجة ماسة إلى وقفة جادة مع أنفسنا لنضع أقدامنا التي زلت على بداية الطريق الصحيح!!

قال الله تعالى في القرآن على لسان نوح عليه السلام : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٧٢] . وقال عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : ١٣١] .

ونفى القرآن عن إبراهيم عليه السلام اليهودية والنصرانية فقال : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

وأخبر القرآن عن إبراهيم وإسماعيل أنهما قالا في دعائهما عند بناء الكعبة : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

بل إن إبراهيم عليه السلام وصى أبناءه - إسماعيل وإسحاق بأن يموتوا على الإسلام .

وكذلك فعل يعقوب عليه السلام - ويعقوب هو إسرائيل - فقد وصى أبناءه كذلك أن يموتوا على الإسلام .

قال تعالى : ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

وقد أراد يعقوب عليه السلام أن يؤكد هذه الوصية وأن يؤكد للبشرية أن الإسلام هو الدين الحق ؛ فجمع بني إسرائيل وهو على فراش الموت - وهم أبناؤه - وسأل بني إسرائيل عن الدين الذي سيتمسكون به طيلة حياتهم !! وقد جاء بيان ذلك في القرآن : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣] .

هذا ما أعلنه إسرائيل عليه السلام ، وقد أنكرته وكذبته بنو إسرائيل بعد ذلك بزمن طويل : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [البقرة : ١١١] .

وقد توجه يوسف عليه السلام - وهو ابن إسرائيل ومن أنبياء بني إسرائيل - إلى الله بهذا الدعاء : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

عالم اليوم يموج بالفتن والضلالات، والبدع والخرافات التي علت في عالم الأمس قبل أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ ولم يعد أمام البشرية مخرج يخلصها من ويلات الظلم والجور سوى الإسلام!!

ونبي الله موسى عليه السلام قد دعا قومه إلى الإسلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٨٤] .

وكتب نبي الله سليمان عليه السلام في الرسالة التي وجهها إلى بلقيس : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل : ٣٠، ٣١] . ولما دخلت بلقيس في الإسلام : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل : ٤٤] .

ولما دخل سحرة فرعون في دين موسى عليه السلام قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦] . ولما دخل الحواريون أتباع عيسى عليه السلام في الإسلام قالوا له : ﴿ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة : ١١١] .

وقد أمر الله خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ أن يعلن ذلك فقال له : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢، ١٦٣] .

فهل بعد هذه الأدلة القاطعة شك أو ارتياب على أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين ، وأنه : ﴿ .. مَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

❁ الحقيقة الثالثة :

الدعوة إلى توحيد الله منهج كل الأنبياء :فكما أن جميع الرسل ، عليهم السلام ، قد دعوا أقوامهم إلى توحيد الله ونهوهم عن الإشراك به ؛ فلا يوجد نبي من الأنبياء دعا قومه إلى عبادته واتخاذه إلهًا مع الله أو من دون الله ، ولا يوجد نبي من الأنبياء قال بأن الله ثالث ثلاثة ! ولا يوجد نبي من الأنبياء قال : إن عزيرًا ابن الله ؛ وإنما قال جميع الرسل لأقوامهم : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

فهذا نبي الله نوح عليه السلام يقول : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٥٩] ، وهذا نبي الله هود عليه السلام يقول : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٦٥] ، وكذلك نبي الله صالح عليه السلام يقول : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٧٣]، وهذا نبي الله شعيب عليه السلام يقول : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٨٥].

ونبي الله موسى عليه السلام يقول له ربه تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] .

ونبي الله عيسى عليه السلام يسأله الله عز وجل يوم القيامة هذا السؤال : ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ١١٦] ؟!! فيجيب عيسى عليه السلام على سؤال ربه بقوله : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَن

اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٦، ١١٧] .

فجميع الأنبياء والمرسلين يدعون إلى توحيد اللـه ، ويرفضـون تثنية اليهود ، وتثليث النصارى .

❁ **الحقيقة الرابعة :**

الكفر برسول واحد كفر بجميع الأنبياء والرسل !!

فالإسلام دين الأنبياء جميعًا يدعو إلى الإيمان بجميع الرسل ، عليهم السلام ، دون تفريق ؛ ويعتبر عدم الإيمان ولو بواحد فقط من الرسل هو كفر بهم جميعًا .

ويؤكد القرآن هذه الحقيقة الهامة فيقول : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٥] ، ومن المعلوم أنهم كذبوا رسولاً واحدًا هو نوح عليه السلام فاعتبرهم القرآن مكذبين لجميع الرسل الذين سيأتون بعد نوح ؛ لأنهم كفروا بواحد منهم ، فقد كفروا بجميعهم .

وبمثل هذا وصف القرآن بقية الأقوام ، فقال : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٢٣]، وقال : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٤١]، وقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٠]، وهكذا يقرر القرآن هذه الحقيقة تقريرًا عامًا شاملاً ، فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۞ أُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء : ١٥٠، ١٥١] .

❁ **الحقيقة الأخيرة :**

حاجة البشرية إلى الإسلام :

إن عالم اليوم يموج بالفتن والضلالات ، والبدع والخرافات التي علت في عالم الأمس قبل أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ ، وقد فشلت جميع النظم الأرضية السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تحقيق السعادة للبشر ، ولم يعد أمام البشرية مخرج يخلصها من ويلات الظلم والجور سوى الإسلام ، وهذا الإسلام يحتاج إلى الدعاة المخلصين والزعماء المخلصين الذين يؤمنون به حق الإيمان ويفهمونه حق الفهم ؛ ويجعلون حياتهم وقفًا على الدعوة إليه والدفاع عنه ، فإذا وفقنا الله إلى هذا وأعاننا عليه كان ذلك سببًا في أن يعود المسلمون إلى الإسلام الحق عودًا حميدًا .

وبهذا نقدم الإسلام من جديد في صورته النقية الخالصة إلى البشرية الحائرة ، فتجد فيه ضالتها المنشودة . وعندها يدخل الناس في دين اللـه أفواجًا : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم : ٤] . وما ذلك على الله بعزيز .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى اللـه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الإسلام دين جميع الأنبياء عليهم السلام، وهي حقيقة هامة ينبغي أن يعرفها كل مسلم، وأن يعلنها للناس، فجميع الأنبياء والمرسلين من آدم ونوح إلى محمد ﷺ مسلمون مؤمنون موحدون!!

باب التفسير

الهجرة باقية

بقلم الدكتور :

عبد العظيم بدوي

*قال تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوًا غفورًا ﴾*

[النساء : ٩٧ - ٩٩] .

الهجرة لغة : الخروج من أرض إلى أرض .

وشرعًا : الخروج من أرض الكفر (وهي التي تكون السيادة والغلبة فيها لأحكام الكفر) إلى أرض الإسلام (وهي التي تكون السيادة والغلبة فيها لأحكام الإسلام) .

ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأقام دولة الإسلام بها وصارت لهذه الدولة شوكة لم تكن ثمَّ أرض إسلام سواها ، فكانت الهجرة إليها على كل من أسلم من غير أهلها واجبة ، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من يبايعه على الإسلام أن يبايعه على الهجرة أيضًا .

عن أبي نُخَيلة البجلي قال : قال جرير : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبايع ، فقلت : يا رسول الله ! ابسط يدك حتى أبايعك ، واشترط عليَّ فأنت أعلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((أبايعك على أن تعبد الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتناصح المسلمين ، وتفارق المشركين)) .

[النسائي : ٧/١٤٨] .

وكان صلى اللّه عليه وسلم يتبرأ ممن أسلم ولم يهاجر، فكان يقول: «برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في بلادهم». [«السلسلة الصحيحة»: ٧٦٨].

وكان يقول: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله». [أبو داود: ٢٧٧٠].

وعن جرير بن عبد اللّه قال: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس منهم بالسجود، فأسرع فيهم القتل، قال: فبلغ ذلك النبي صلى اللّه عليه وسلم، فأمر لهم بنصف العقل، وقال: «أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين». قالوا: يا رسول اللّه، لِمَ؟ قال: «لا تراءى ناراهما». [أبو داود: ٢٦٢٨].

قال ابن القيم، رحمه اللّه: قال بعض أهل العلم: إنما أمر لهم بنصف العقل بعد علمه بإسلامهم؛ لأنهم قد أعانوا على أنفسهم بمقامهم بين ظهراني الكفار، فكانوا كمن هلك بجناية نفسه وجناية غيره، وهذا حسنٌ جدًا، والذي يظهر من معنى الحديث؛ أن النار هي شعار القوم عند النزول وعلامتهم، وهي تدعو إليهم، والطارق يأنس بها، فإذا ألَمَّ بها جاور أهلها وسالمهم، فنار المشركين تدعو إلى الشيطان وإلى نار الآخرة، فإنها إنما توقد في معصية اللّه، ونار المؤمنين تدعو إلى اللّه وإلى طاعته وإعزاز دينه، فكيف تتفق الناران، وهذا شأنهما؟ وهذا من أفصح الكلام وأجزله، المشتمل على المعنى الكثير الجليل بأوجز عبارة. اهـ. [«معالم السنن وتهذيبها»: ٤٣٦، ٣/٤٣٧].

وفي هذه الآيات وعيدٌ شديد للقاعدين عن الهجرة مع القدرة عليها، حيث وصفهم اللّه تعالى بأنهم: ﴿ظالمي أنفسهم﴾، وأن ملائكة الموت توبخهم على ظلمهم هذا لأنفسهم وتسألهم سؤال توبيخ وتأنيب، فتقول لهم عند الوفاة: ﴿فيم كنتم﴾؟ فلم يجدوا إلا الكذب: ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾، ولم يكونوا كذلك؛ لأن اللّه توعدهم واستثنى المستضعفين حقًا، فلو كانوا صادقين في كونهم مستضعفين لعفا عنهم، ولكنه قال: ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا﴾، وذلك بعد رد الملائكة عليهم بقولهم: ﴿ألم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها﴾؟ فلم رضيتم بالذل والهوان واستسلمتم لتسلّط المشركين عليكم، وأنتم قادرون على الهجرة إلى أرض العزة والكرامة، التي تطمئنون فيها على أنفسكم، وتأمنون على دينكم؟

ومن الجدير بالذكر أن هذا الوعيد للمسلمين القاعدين عن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام مع القدرة عليها لا يستلزم كفرهم ولا خلودهم في النار خلود الكافرين الأصليين، فإن القول في أهل الكبائر من المسلمين ما قال الإمام الطحاوي، رحمه اللّه: وأهل الكبائر من أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا اللّه عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل

في كتابه : ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ١١٦] ، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته . [«شرح الطحاوية» : ٤١٦، ٤١٧] .

ثم استثنى الله تعالى المستضعفين حقًّا فقال : ﴿ إلا المستضعفين من الرجال ﴾ بعمًى ، أو عرج ، أو مرض ، أو تسلّط الكافرين ، ﴿ والنساء ﴾ وهن ضعيفات بأصل خلقتهن ، ﴿ والولدان ﴾ ، وهم أضعف ﴿ لا يستطيعون حيلة ﴾ يتمكنون بها من الهجرة ﴿ ولا يهتدون سبيلاً ﴾ إليها ، ولا يعرفون طريقًا لها ، ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوًّا غفورًا ﴾ ، وهذا ترجي للمستضعفين مصحوب بتخويف للقادرين ، حيث إنه سبحانه لم يصرح بالعفو عن المستضعفين ، وإن كانت ﴿ عسى ﴾ من الله موجبة ، كما قيل من قبل . قال : ﴿ عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ ليقول القادرون الخالدون إلى الأرض ، القاعدون عن الهجرة مع القدرة عليها : إذا كان المستضعفون : ﴿ عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ ، فكيف بالقادرين ، فيخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، فيبادرون بالهجرة إلى أرض الإسلام ، ذلك هو حكم الهجرة إلى المدينة المنورة حين كانت هي وحدها أرض الإسلام ، وهذا الحكم باقٍ ما بقيت في المعمورة أرض كفر ، فإن الهجرة منها واجبة إلى أرض الإسلام على من أسلم من أهلها ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تنقطع الهجرة ما قُوتل الكفار» . [النسائي : ٧/١٤٦] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» . [أبو داود : ٢٤٦٢] ، ولا تعارض بين هذا الحديث والحديث الآخر المشهور : «لا هجرة بعد الفتح» . [متفق عليه] .

(فقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ : انقطعت الهجرة بعد

الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار ؛ أي مادام في الدنيا دار كفر ، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يُفتن عن دينه ، ومفهومه أنه لو قدر أن لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها . والله أعلم) . [«فتح الباري» : ٧/٢٢٩، ٢٣٠] .

وقال الإمام البغوي : قوله : «لا هجرة بعد الفتح» أراد به من مكة إلى المدينة ، وقوله : «لا تنقطع الهجرة» أراد بها هجرة من أسلم في دار الكفر ، عليه أن يُفارق تلك الدار ويخرج من بينهم إلى دار الإسلام ؛ لقول النبي صلى الله

عليه وسلم : « أنا بريء من كل مسلم مقيم بين أظهر المشركين لا تتراءى ناراهما » . اهـ . [« شرح السنة » : ١٠/٣٧٣] .

فإذا تبين ذلك فالعجب كل العجب من المسلم الذي يهاجر إلى دار الكفر لا ليدعوهم إلى الإسلام ، وإنما ليعمل عندهم ، ويأكل طعامهم ، ويشرب شرابهم ، وبالتالي يلبس لباسهم ، ويلتزم بأخلاقهم وآدابهم !! وتسرى عليه أحكامهم ، ويراهم على المعاصي مقيمين ، يتسافدون في الطريق كتسافد الحمير ، ولا ينطق ببنت شفة ، وأنى له ذلك ؟! فلا يزال يرى المنكر ولا يغيره حتى يألفه قلبه ويعرفه ، فلا يراه بعد ذلك منكرًا ، وتلك هي الطامة الكبرى ، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول : ﴿ وقد نزَّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات اللَّه يُكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره إنكم إذًا مثلهم ﴾ [النساء : ١٤٠] .

ولذلك رأى الإمام القرطبي الهجرة من أرض المعصية - لا من أرض الكفر - واجبة ، فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ : (وفي هذه الآية دليل على هجران الأرض التي يُعمل فيها بالمعاصي ، وقال سعيد بن جبير : إذا عُمل بالمعاصي في أرض فاخرج منها ، وتلا : ﴿ ألم تكن أرض اللَّه واسعة فتهاجروا فيها ﴾ . اهـ . [« الجامع لأحكام القرآن » : ٣٤٦ ، ٥/٣٤٧]) .

فما أحوج هؤلاء المهاجرين إلى إعادة النظر في هجرتهم ومحاسبة أنفسهم ، فإن الموت يأتي بغتة : ﴿ وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللَّه عليمٌ خبيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] ، وما أحوجهم إلى ترديد قول اللَّه تعالى على أسماعهم : ﴿ تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند اللَّه مغانم كثيرةٌ ﴾ [النساء : ٩٤] .

واللَّه الموفق والهادي إلى الصواب ، لا ربَّ غيره ، ولا إله سواه .

* * *

بناء المساجد والحث عليها

عن عبيد اللَّه الخولاني ، أنه سمع عثمان بن عفان يقول ، عند قول الناس فيه ، حين بنى مسجد الرسول صلى اللَّه عليه وسلم : إنكم أكثرتم ، وإني سمعت النبي صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « من بنى مسجدًا يبتغي به وجه اللَّه بنى اللَّه له مثله في الجنة » .

متفق عليه

الشفاعة

الحلقة الأولى

الشفاعة : التوسط بالقول لوصول شخص إلى منفعة يرجوها أو خلاص من مضرة يخشاها دنيوية كانت أو أخروية ، وهي إما حسنة ، أو سيئة .

معنى الشفاعة :

لفظة الشفاعة في استعمال الشرع معناها : الدعاء . ففي حديث مسلم عن أنس وعائشة أن النبي ﷺ قال : « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه » .

قال ابن الأثير في « النهاية » : الشُّفعة في الملك معروفة وهي مشتقة من الزيادة ؛ لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه فيشفعه به ، كأنه كان واحدًا وترًا فصار زوجًا شفعًا ، والشافع هو الجاعل الوتر شفعًا .

(وقال) : الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بالدنيا والآخرة . وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم . يقال : شفع يشفع شفاعة . فهو شافع وشفيع ، والمشفِّع : الذي يقبل الشفاعة . والمشفَّع الذي تقبل شفاعته .

(وقال) : شاة شافع إذا كان في بطنها ولدها ويتلوها آخر .

قال الراغب : الشفاعة ؛ الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلاً عنه . وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى . ومنه الشفاعة في القيامة . قال تعالى : ﴿ لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٨٧] ، ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ ؛ أي من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعًا له أو شفيعًا في فعل الخير والشر فعاونه وقواه وشاركه في نفعه وخيره . (انتهى بتصرف) .

الشفاعة الحسنة : هي أن يشفع الشفيع لإزالة ضر أو رفع مظلمة عن مظلوم ، أو جر منفعة إلى مستحق من غير ضرر بغيره ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٢] ، والشفيع مأجور على شفاعته ؛ لقوله تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء : ٨٥] .

والشفاعة السيئة : أن يشفع في هضم حق أو إعطائه لغير مستحق ، أو يشفع في إسقاط حد بلغ السلطان ، وهو منهي عنه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] ، وعلى الشفيع وزر من ذلك ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء : ٨٥] .

والشفاعة : ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك ، فهي على التحقيق إظهار منزلة الشفيع عند المشفَّع وإيصال المنفعة إلى المشفوع له .

والشفاعة : إما دنيوية ، أو أخروية .

الشفاعة الدنيوية : قال تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ

بقلم الرئيس العام /

محمد صفوت نور الدين

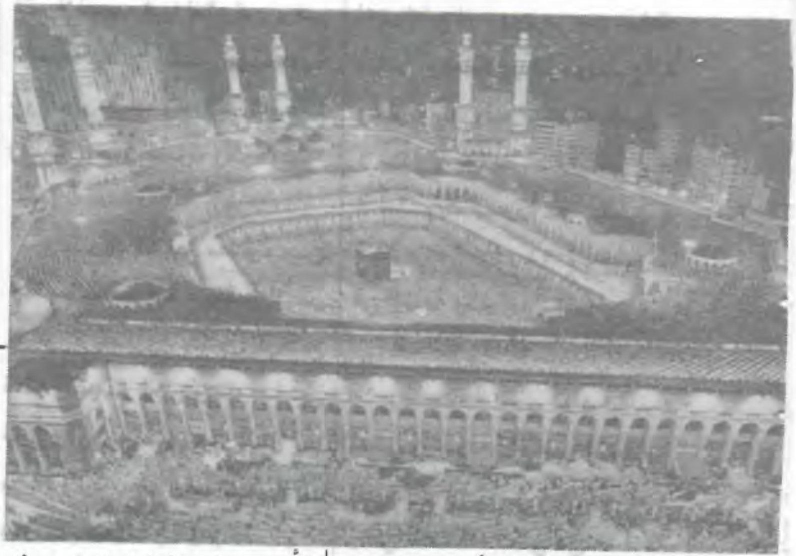

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء : ٨٥] ؛ الشفاعة الحسنة في الدنيا هي شفاعة مقبول الشفاعة عند ذي سلطان أو مالك في حاجة إنسان جائزة شرعًا وصاحبها مأجور وإن لم تقبل شفاعته ؛ لحديث البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال : ((اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء)) . [البخاري : (١٤٣٢) ، ومسلم (٢٦٢٧)] .

والشفاعة جائزة في التعزير دون الحدود بلغت الحاكم أم لم تبلغه ، ما لم تكن في معلن بالشر .

أما الشفاعة في الحدود إذا بلغت السلطان فهي حرام ؛ لقول النبي ﷺ لأسامة بن زيد : ((يا أسامة ، أتشفع في حدٍ من حدود الله)) . ولحديث ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فقد ضادَّ الله ، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال[1] حتى يخرج مما قال)) ، إلا أن يكون شفاعة في إسقاط القصاص إلى الدية بعفو المجني عليه أو أوليائه .

أخذ الأجرة على الشفاعة :

في الحديث عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : ((من شفع لأخيه بشفاعةٍ فأهدى له هدية عليها فقبلها ، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا)) . أخرجه أبو داود بسند حسن .

قال في ((فتح الودود)) : وذلك لأن الشفاعة الحسنة مندوب إليها ، وقد تكون واجبة فأخذ الهدية عليها يضيع أجرها ، كما أن الربا يضيع الحلال ، والله تعالى أعلم .

فائدة : ومن الشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين بالخير ، ومن الشفاعة السيئة الدعاء على المسلمين أو على بلادهم أو على ما يملكون من متاع وزرع وغيرها ، وقد وعد الله بالنصيب في الشفاعة الحسنة والكفل في الشفاعة السيئة ؛ لأن النصيب يقبل الزيادة ، أما الكفل فمعناه المساوي إشارة إلى لطف الله بعباده سبحانه .

أخرج الترمذي عن عوف بن مالك الأشجعي ، رضي الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ؛ وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا)) . [((سنن الترمذي)) : (٢٥٥٨)] .

---

(١) الوحل الشديد .

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول ﷺ : ((لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة)) .

الشفاعة الشركية : قال تعالى في سورة ((سبأ)) : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ❁ وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٢، ٢٣] .

قال ابن القيم : قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعًا ، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من نفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع : إما مالك لما يريده عابده منه ، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك ، فإن لم يكن شريكًا للمالك كان له معينًا وظهيرًا ، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده ، فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى ، فنفى الملك والشركة والمظاهرة[1] والشفاعة التي يطلبها المشرك ، وأثبت الشفاعة التي لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه ، فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها .

والقرآن الكريم مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنونها في نوع وقوم قد خلوا من قبل لم يعقبوا وارثًا ، فهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك .

إن اتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله هضم لحق الربوبية ، وتنقص للعظمة الإلهية ، وسوء ظن برب العالمين ، كما قال تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ [الفتح : ٥] .

فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به ، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده ، ولهذا أخبر سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم ما قدروا الله حق قدره ، وكيف يقدره حق قدره من اتخذ من دونه ندًا أو شفيعًا يحبه ويخافه ويرجوه ويذل له ويخضع له ، ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته ويدعوه ويذبح له وينذر ، يسوونهم برب العالمين : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ❁ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٧، ٩٨] ، سووهم في المحبة والتعظيم والعبادة .

الشفاعة الحقة :

والشفاعة التي أثبتها الله تعالى ورسوله ﷺ هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده ، والتي نفاها الله تعالى هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء فيعاملون بنقيض مقصودهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون .

الشفاعة في الآخرة : أجمع أهل السنة على وقوع الشفاعة في الآخرة ووجوب الإيمان بها ؛ لما جاء في آيات القرآن الكريم ؛ لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ [طه : ١٠٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، والأحاديث في الشفاعة تبلغ بمجموعها حد التواتر ؛ أي التواتر المعنوي .

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : ((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة

(١) المعاونة والمساندة والتأييد .

من قال : لا إله إلا اللَّه خالصة من قلبه أو نفسه)) . رواه البخاري .

تحقيق كلمة التوحيد :

قال في ((فتح المجيد)) : لا بد في شهادة أن لا إله إلا اللَّه من سبعة شروط ، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها ، أحدها : العلم المنافي للجهل . الثاني : اليقين المنافي للشك . الثالث : القبول المنافي للرد . الرابع : الانقياد المنافي للترك . الخامس : الإخلاص المنافي للشرك . السادس : الصدق المنافي للكذب . السابع : المحبة المنافية للبغض .

وقال في ((قرة العيون)) : فكان قولهم : لا إله إلا اللَّه لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة ؛ كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة ، فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد ، فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم ، وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك .

هذا ، ويوضح ذلك حديث معاذ بن جبل ، رضي اللَّه عنه ، قال : كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له : ((عفير)) ، فقال : ((يا معاذ ، تدري ما حق اللَّه على العباد ، وما حق العباد على اللَّه ؟)) قلت : اللَّه ورسوله أعلم . قال : ((فإن حق اللَّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على اللَّه عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا)) . فقلت : يا رسول اللَّه ، أفلا أبشر به الناس ؟ قال : ((لا تبشرهم فيتكلوا))[1]. [أخرجه مسلم]

إذًا فالشفاعة المطلوبة هي شفاعة المطاع الذي تقبل شفاعته ، وهذه ليست لأحد عند اللَّه إلا بإذنه قدرًا ، وبإذنه شرعًا ، فلا بد أن يأذن فيها ، ولا بد أن يُجعل العبد شافعًا ، فهو الخالق لفعله ، المبيح له .

فمن لم تقبل شفاعته كانت كعدمها ، بل كان على صاحبها التوبة والاستغفار منها ، كما قال نوح عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٧] . وذلك لأنه شفع لولده بطلب نجاته من الغرق ، كما نهى اللَّه النبي ﷺ عن الصلاة على المنافقين : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٨٤] ، وقال سبحانه : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [المنافقون: ٦] .

فالشفاعة المثبتة هي المقبولة ، أما المردودة فلا يريدها أحد ، لا الشافع ولا المشفوع له ، ولا المشفوع إليه ، ولو علم الشافع والمشفوع له أنها ترد لم يطلبوها - فلا بد للشفاعة من إذن قدري يقدر لها الوقوع ، وإذن شرعي يقدر لها القبول .

فالشفاعة المقبولة جاءت في سورة ((طه)) : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه : ١٠٨] ، يعني أذن للشافع ورضي قوله في المشفوع له . وفي سورة ((سبأ)) : ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٣] ؛ أي لا تنفع شفاعة شافع إلا لمأذون له ، وهو المشفوع له الذي تنفعه الشفاعة .

ولذا جاء في الحديث : ((فيحد لي حدًا ، فأشفع فيهم)) . وفي

(١) في ذلك فوائد منها : أن الاتكال على الوعد قد يوقع صاحبه في عذاب النار ؛ لأن الشيطان يلهي بالأماني ، فينسى العبد العمل ، ومنها أن البشارة تمنع إذا توقع منها الضرر ، ومنها أن بعض العلم يكتم على من لا يحسن الفهم فيه .

الحديث : ((يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) . حتى قال : ((ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة)) .

ومن الشفاعة غير المأذون بها ؛ شفاعة نوح عليه السلام في الدنيا لابنه فيما جاء في سورة ((هود)) : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۞ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٥- ٤٧] .

ومن الشفاعة غير المأذون بها في الآخرة شفاعة إبراهيم عليه السلام في أبيه آزر ؛ لحديث البخاري عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك : لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يا رب ، إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ، ما تحت رجليك ؟ فينظر ، فإذا هو بذيخ متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار)) .

وكذلك شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب لما قال ﷺ بعد موت عمه أبي طالب : ((لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)) . فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] .

فانظر - رعاك الله - كيف أن الله لم يقبل من ثلاثة من الرسل من أولي العزم فيهم إمام المرسلين ﷺ ، فكيف بغيرهم ، وأن شفاعة أحدهم في ولده ، والثانية في والده ، والثالثة في عمه الذي كفله ورعاه . ومنها شفاعة في الآخرة وشفاعتان في الدنيا ، فتدبر حتى لا يلهينا الأمل عن العمل .

بل ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، فقال : ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يشفع فيه فيؤذن لغيره أن يشفع فيه فيكون الإذن للطائفتين والنفع للمشفوع له - ثم قال -: فكما أن الإذن للطائفتين فالنفع أيضًا للطائفتين ، فالشافع ينتفع بالشفاعة ، وقد يكون انتفاعه بها أعظم من انتفاع المشفوع له ، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : ((اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما يشاء)) .

ولهذا كان من أعظم ما يكرم به الله عبده محمدًا ﷺ : هو الشفاعة التي يخصه بها ، وهي المقام المحمود الذي يحمده به الأولون والآخرون ، وعلى هذا لا تحتاج الآية إلى حذف ، بل يكون معناها : يومئذ لا تنفع الشفاعة لا شافعًا ولا مشفوعًا : ﴿ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ [طه : ١٠٩] .

ولذلك جاء في ((الصحيح)) : أن النبي ﷺ قال : ((يا بني عبد مناف لا أملك لكم من الله شيئًا ، يا صفية عمة رسول الله ﷺ، لا أملك لك من الله شيئًا ، يا عباس عم رسول الله ، لا أملك لك من الله شيئًا)) .

وفي ((الصحيح)) أيضًا : ((لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول : أغثني ، أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك)) . [مسلم : (١٨٣١)] .

فيعلم من هذا أن قوله : ﴿ وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] ، و﴿ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبأ : ٣٧] ، على مقتضاه ، وأن قوله في الآية : لا يملكون منه ، كقوله ﷺ : ((لا أملك لكم من الله من شيئًا)) . وهو كقول إبراهيم لأبيه عليه السلام : ﴿ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الممتحنة : ٤] ، فقد أخبر الخليل عليه السلام أنه لا يملك لأبيه من الله من شيء ، فكيف غيره ؟

فقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ [طه : ١٠٩] ، يدخل فيها الشفاعة من أهل الموقف عمومًا ، وفي أهل الجنة تُستفتح لهم الجنة ، وفي المستحقين للعذاب ينجيهم الله منه ، وهو سبحانه في هذه وتلك لم يذكر العمل ، إنما قال : ﴿ وقال صوابًا ﴾ ، وقال : ﴿ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ ، ولكن قد دل الدليل على أن القول الصواب المرضي لا يكون صاحبه محمودًا إلا مع العمل الصالح ، لكن نفس القول مرض ، فقد قال الله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ٩] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله : فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال ولا يتصور أن يكون نبي ، فمن دونه مالكًا لها ، بل هذا ممتنع كما يمتنع أن يكون خالقًا وربًا ، وهذا كما قال : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ ، فنفى الملك مطلقًا ، ثم قال : ﴿ وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٣] ، فنفى نفع الشفاعة إلا لمن استثناه ، ولم يثبت أن مخلوقًا يملك الشفاعة ، بل هو سبحانه له الملك وله الحمد لا شريك له في الملك ، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ١، ٢] .

ولهذا لما نفى الشفعاء من دونه نفاهم نفيًا مطلقًا بغير استثناء ، وإنما يقع الاستثناء إذا لم يقيدهم بأنهم من دونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٥١] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٧٠] ، وكما قال تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ ﴾ [السجدة : ٤] .

فلما قال : ﴿ مِّن دُونِهِ ﴾ نفى الشفاعة مطلقًا ، وإذا ذكر (بإذنه) لم يقل : (من دونه) ، كقوله : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقوله : ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[1] [يونس : ٣] .

وإنما تنال الشفاعة بشهادة ألا إله إلا الله ، وهي شهادة الحق ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦] ، والأحاديث الصحيحة الواردة في الشفاعة تبين أنها تكون لأهل لا إله إلا الله .

فمن والى غير الله ودعاه وحج إلى قبره ، ونذر له وحلف

(١) تدبر هذه الفائدة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية لتعلم أن الشفاعة المثبتة ليست من دونه ، بل هي من بعد إذنه ، وأن الشفاعة المنفية من دونه ولا يأذن فيها مطلقًا

به ، وقرب له القرابين ليشفع له ، لم يغن ذلك عنه من الله شيئًا ، وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره ، فإن الشفاعة إنما تكون لأهل توحيد الله ، وإخلاص القلب والدين له ، ومن تولى أحدًا من دون الله فهو مشرك ، ويعامل بضد مقصوده ؛ لأنه قصد شفاعة من عبدهم ، ولو كانوا من الأنبياء أو الملائكة أو الأولياء الصالحين ، حيث أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ، فإن الشفاعة من الله مبدؤها ، وعلى الله تمامها ، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ، وهو الذي يأذن للشافع ويقبل شفاعته في المشفوع له ، فالشفاعة من رحمته سبحانه ، وأحق الناس برحمته أهل التوحيد والإخلاص له ، وأحق الناس بعذابه من أشركوا معه غيره ، أو عدلوا به بعض خلقه ، فانتفاع العباد بالشفاعة له شروط يتوقف عليها ، وله موانع من تحققها ولو كانت الشفاعة للكفار تنجيهم من النار لنجا أبو إبراهيم وعم النبي ﷺ .

نفي الشفاعة الحقة قول المبتدعة :

أما الشفاعة لأهل الذنوب من الموحدين فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم ، وإنما أنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية ؛ لأنهم يقولون : (من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها) ، فأنكروا المتواتر من السنة في ذلك ، بل وآيات القرآن المثبتة للشفاعة ، محتجين بآيات من القرآن اشتبه عليهم معناها ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة : ٤٨] ، وقوله : ﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة : ١٢٣] ، وقوله : ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، وبقوله : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ﴾ [غافر : ١٨] ، وبقوله : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] .

والجواب عن ذلك أن هذه الآيات نفت الشفاعة أن تنفع المشركين كقوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۞ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٥-٤٨] ، وفي « الصحيح » عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا » .

وفي « السنن » عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا » .

لو تدبر المسلم ذلك كله عرف أن الشفاعة المثبتة كلها لله تعالى منه بدأت تقديرًا وتشريعًا وله قبولها وردها ، ولا تكون إلا من بعد إذنه شرعًا ، ويحدد رب العزة لها وقوعها ، ومن تصيب ، أما الشفاعة المنفية فهي الشفاعة من دونه .

واعلم أن البدعة إنما تدخل على من أهمل من الشرع نصوصًا ، وأعمل أخرى ، وأن أهل السنة جمعوا كل النصوص وفهموا الشرع كاملاً بنصوصه قرآنًا وسنة ، وكان على ذلك الصحابة الكرام والسلف الصالح من بعدهم .

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى .

تنكيس الأعلام وتعطيل الأعمال عند المصيبة من البدع المحرمة في الدين

سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

بسم اللّه ، والحمد للّه ، والصلاة والسلام على رسول اللّه ، أما بعد : فقد جرت عادة كثير من الناس عند موت بعض العظماء من ملك أو أمير تنكيس الأعلام وتعطيل الأعمال ، ولا شك أن هذا بدعة منكرة ، لا يجوز فعله ؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه ، رضي اللّه عنهم ، لم يفعلوا ذلك . وقد توفي النبي ﷺ والمصيبة به أعظم المصائب ، فلم ينكس الصحابة الأعلام ، ولم يعطلوا الأعمال ، ثم توفي الصديق ، رضي اللّه عنه ، بعد ذلك وهو أفضل الصحابة ، رضي اللّه عنهم ، فلم ينكسوا الأعلام ، ولم يعطلوا الأعمال ، ثم توفي عمر ، رضي اللّه عنه ، بعد ذلك قتيلاً ، فلم ينكس الصحابة ، رضي اللّه عنهم ، الأعلام ولم يعطلوا الأعمال ، ثم قُتل عثمان ، ثم قُتل علي ، رضي اللّه عنهما ، فلم يفعل الصحابة ، رضي اللّه عنهم ، شيئًا من ذلك ، فالواجب السير على نهجهم ، والتأسي بهم ، والحذر من البدع كلها ؛ لقول النبي ﷺ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) . متفق على صحته . ولقوله ﷺ : ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) . ولقوله ﷺ : ((عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)) .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة . وإنما الواجب عند المصائب الصبر والاحتساب ، والقول كما قال الصابرون : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، وقد وعدهم اللّه على ذلك خيرًا كثيرًا ، فقال : ﴿ أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٧] .

والإحداد على الميت من خصائص النساء ؛ لقول النبي ﷺ : ((لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا)) .

واللّه المسئول أن يوفق المسلمين لكل خير ، وأن يصلح أحوالهم قادة وشعوبًا ، وأن يمنحهم التمسك بالسنة في جميع أقوالهم وأعمالهم ، وأن يعيذهم من البدع كلها ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . ولوجوب النصيحة والتحذير من البدع جرى تحريره .

وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

موضوع العدد

الوضوء بين العلم والدين

بقلم الدكتور / محمد السقا عيد

ماجستير طب جراحة العيون

الدين الإسلامي دين يؤثر النظافة والتطهر ، يقول اللَّه تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ؛ لأن الطهارة تؤدي إلى قوة البدن ونظافته قبل نظافة اليد والقلب واللسان ، وهي توأم الصحة ، ولما فُرضت الصلوات الخمس على المسلمين كان لا بد من الوضوء ، وقد جاء ذكر الوضوء في القرآن الكريم وأضافت إليه السنة ، وفيه غسل اليدين إلى الرسغين ، ثم المضمضة ، فالاستنشاق ، ثم غسل الوجه ، وغسل اليدين إلى المرفقين ، ثم مسح الوجه والرأس ، ثم غسل الرجلين إلى الكعبين ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ ﴾ [المائدة : ٦] .

فعن أبي مالك الأشعري ، رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : ((الطهور شطر الإيمان ، والحمد للَّه تملأ الميزان ، وسبحان اللَّه والحمد للَّه تملأن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ..)) . أخرجه مسلم .

والإسلام وهو يحث على ذلك يطلب من أبنائه أن يكونوا دائمًا على هذا الحال من الطهارة ، حتى عندما يريدون أن يأووا إلى مضاجعهم ليستريحوا من تعب العمل طول النهار ، فيقول ﷺ فيما رواه البراء بن عازب ، رضي اللَّه عنه : ((إذا اتخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن)) . رواه الجماعة .

وقد بين ﷺ أن أمته تُعرف بين الأمم على كثرتها بهذا النوع من النظافة ، وهذا الأثر من الوضوء والطهارة ، فيقول ﷺ : ((إن أمتي يُدعون يوم القيامة غرلاً محجلين من أثر الوضوء)) . قال أبو هريرة : فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل . رواه أحمد والشيخان .

وعنه ﷺ أنه قال : ((ألا أدلكم على ما يمحو اللَّه به الخطايا ويرفع به الدرجات)) . قالوا : بلى يا رسول اللَّه ، قال : ((إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط)) . رواه مالك ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي .

والوضوء بأحكامه موجود بالتفصيل في كتب الفقه والسنة ، ولكن ما سنعرض له من ناحية الأبحاث العلمية في أثر الوضوء على الميكروبات وفوائده الطبية على الجسم .

فجلد الإنسان ، وهو أكبر عضو فيه وسطحه حوالي مترين في الشخص البالغ معرض لتواجد ميكروبات عليه من الأنف والأمعاء أو مصادر خارجية تحتك به .

وهناك نوعان من البكتريا الموجودة على الجلد :

١- البكتريا المقيمة : وهي التي تكون موجودة وبانتظام وبكميات معقولة على جلد معظم الناس ، وهذه البكتريا تكون مجتمعات على سطح الجلد وليس من السهل التخلص منها ، وإذا وجدت هذه البكتريا الظروف المناسبة لها على سطح الجلد فإنها تتحول إلى بكتريا مرضية تصيب الجسم .

٢- البكتريا المؤقتة : وهي تشمل كمية ضخمة من الميكروبات ، ولكن لا تستمر لفترة طويلة على الجلد ، فإنها تزول بعد غسله أو تطهيره ، فإذا كان الجلد مريضاً فإن البكتريا المؤقتة يصعب إخراجها .

وقد وجد أن غسل اليدين فقط ولمدة دقيقة واحدة تزيل ٣٠- ٤٠٪ من البكتريا الهوائية ، وغسل الذراعين والوجه لمدة ١٥ ثانية تزيل من ٦٠- ٨٠٪ من البكتريا الهوائية في الذراع ، ٦٥- ٩٥٪ في الوجه .

إن حكمة العلي القدير في غسل الوجه والأيدي إلى المرافق ، ومسح الرأس ، وغسل الأرجل حتى الكعبين ثلاثاً مع كل صلاة له أكبر الأثر في القضاء والتخلص من معظم البكتريا المقيمة المؤقتة ، ناهيك عن التطهر لتكون في حضرة المولى جلا جلاله .

فالمضمضة : تطرد أية فضلات مجتمعة أو بقايا للطعام في الفم ، كما تغير الريق في الفم ، وفي هذا التغير تتحول المواد السكرية إلى كحول إثيلي له رائحة مميزة ، وقد أمرنا الرسول ﷺ بالسواك في أكثر من حديث .

يقول الرسول ﷺ : ((السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب)) ، فهو يطرد الفضلات التي لو تُركت لأتلفت الفم ، وقرضت الأسنان وورمت اللثة والتهبت جدران الفم والأسنان .

والاستنشاق : يدفع النفايات والأوساخ العالقة بالشعر الموجود عند مدخل الأنف ، كما أن غسل الأنف له ميزة كبرى في تنظيف ذلك الشعر .

وتحت عنوان ((غسيل الأنف يحافظ على صحة الإنسان)) كتبت مجلة ((العلم)) القاهرية في عددها رقم (١١٣) إصدار يونية ١٩٨٥م مقالاً تقول فيه ، بأن العلماء قد وجدوا أن غسيل الأنف المتكرر هو أبسط الطرق وأسهلها للوقاية من تلوث الأنف بالميكروبات .

ومن هذه الوسيلة خطر على بال مجموعة من أطباء كلية الإسكندرية استعراض فكرة الوضوء التي نقوم بها قبل كل صلاة ، والتي تبدأ بغسل الأيدي ، ثم المضمضة ، ثم استنشاق الماء في الأنف ، ثم استنثاره ثلاث مرات ، والبحث عما وراءها من قيم علمية وفوائد صحية .

فكان أن بدءوا بدراسة بحثية استغرقت حوالي السنتين على عدد كبير من المسلمين المنتظمين في الصلاة الذين يتوضئون خمس مرات في اليوم الواحد للكشف عن أهمية هذه الفريضة الدينية .

بدأ البحث بالكشف الطبي الدقيق على الأنف عند المئات من المواطنين الأصحاء الذين لا يصلون ، وبالتالي لا يتوضئون ، ثم أخذت مسحة طبية من داخل الأنف لعمل مزرعة ميكروبية لفحص ما يظهر داخل الأنف من

ميكروبات ، ثم أخذ عدد مساوٍ لهم من المنتظمين في الوضوء والصلاة ، وفحصت أنوفهم ، وأُخذ منها مسحات طبية لعمل المزرعة والفحص والتحليل ، وتكرر هذا العمل يوميًّا ، ولشهور طويلة وعلى أعداد كبيرة من المواطنين من كلا الجنسين ومن جميع الأعمار ، تجمعت لدى الأطباء نتائج كثيرة وبيانات عديدة ، وقاموا بتحليلها ودراستها ، فظهرت أمامهم حقائق غريبة مدهشة ، قاموا بتسجيلها بالأرقام والمستندات ونشرت في الأوساط العلمية داخل وخارج جمهورية مصر العربية ، وكان لها رد علمي كبير .

لقد ظهر الأنف عند الذين لا يتوضئون باهت اللون ، دهني الملمس ، يعلو مدخله بعض الأتربة والقشور ، كما وجدت فتحتي الأنف لزجة السطح ، غامقة اللون ، يتساقط منها الشعر ، وهذا الشعر السميك الذي يحمي تجويف الأنف ظهر متلاصقًا متربًا تعلوه بعض القشور الخفيفة .

أما عند المنتظمين في الوضوء فكانت هذه الصورة مختلفة تمامًا ، حيث ظهر سطح الأنف لامعًا نظيف الملمس ، يخلو من القشور والأتربة ، ويظهر شعره بارزًا نظيفًا أملس ، خاليًا من المتعلقات والإفرازات والميكروبات .

وجاءت المزارع الميكروبية التي أُجريت لهم خالية تمامًا من أي نوع من أنواع الميكروبات .

غسل اليدين إلى المرافق ومسح الرأس والأرجل إلى الكعبين :

نظافة للجسد واليدين وتعطي نشاطًا وحيوية ولياقة ، خمس مرات من النظافة والطهارة كل يوم تجعل الشخص غاية في اللطف والنقاء والطهر .

وديننا الحنيف يأمر بالرونق الجميل والمظهر الأنيق : ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٣١] ، وقد نهى الرسول ﷺ رجلاً طال شعره في عدم تناسق ، وأمره أن يكرمه ويهذبه ، كما يقول ﷺ في حديثه الشريف : « عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء » . أخرجه مسلم .

هذه نظافة اليدين وطهارة الجسد حتى يكون المسلم المؤمن حسن الرائحة .

العلاج بالوضوء والصلاة :

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الأهرام » القاهرية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٩٦/٩/٢٠ م بملحقها الديني « الأسبوعي » حديثًا للدكتور / أحمد شوقي إبراهيم عضو الكلية الملكية بلندن يقول فيه : وقد لاحظ العلماء أن الإنسان إذا اغتسل بالماء أو توضأ زال عنه الغضب والانفعال ، والعلم يفسر ذلك بأن رذاذ الماء المتناثر في الهواء وأثناء الوضوء يولد الضوء منه أيونات سالبة الشحنة لها قوة كهرومغناطيسية تسبب للإنسان استرخاء نفسيًّا كاملاً فيزول عنه الغضب تمامًا . هذا ما اكتشفه العلم حديثًا .

إلا أن رسولنا ﷺ أوصانا فقال : « إذا غضب أحدكم فليتوضأ » . وفي رواية أخرى : « إذا غضب أحدكم فليغتسل » .

وروى الإمام أحمد أن رجلاً دخل على عروة بن محمد ، فكلمه بكلام أغضبه ، فقام ، ثم عاد إلينا وقد توضأ ، فلما سُئل عن ذلك قال : حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال : « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » . والله الموفق .

* * *

تحية العام الهجري الجديد

كتبه / نجاتي عبد الرحمن (رحمه الله)

هي الأيام يزجيها القضاء ... ويصرعها بآيته الفناء
نعيد حسابها فينا ونحصي ... وما للمرء في الغيب اجتلاء
فكم ذهبت بآمال وولت ... وكم في طيها كان الغناء
بربك لا تقل ذا العام ولى ... وقل ماذا يخبئه القضاء
وماذا طي أيام ستأتي ... أسعدٌ في جبينك أم شقاء
تأمل ماضي الأيام واحكم ... وسل تاريخها عما تشاء
كتابٌ لا يضلُّ ولا يحابى ... هو التاريخ شيمته الوفاء
يريك الحق مبسوطًا صريحًا ... ويحصي الظالمين ومن أساءوا
تجد عهدًا من التقوى عليه ... جلال الدين جمَّله البهاء
تجد عهد النبي وخير صحب ... رجال في شريعته أضاءوا
تجافوا عن مضاجعهم ونادوا ... لدين الله فامتد النداء
تجد للهجرة السمحا ضياءً ... ونورًا قد أمدته السماء
تجد نور الهداية ليس يخبو ... به للاجئين بدا احتماء
إليه أسرعت أممٌ فلاقت ... سلامًا ما لغايته انتهاء
فلبوا داعي الحق امتثالًا ... وباعوا كل غالية وجاءوا
إذا ما السلم ساد تقًى وزهدٌ ... وعند الروع أسدٌ بل قضاء
فمن لي بالزمان يعيد عهدًا ... له في نصرة الدين اقتداء
ومن كانوا لدين الله عونًا ... وللدنيا عفاةٌ أتقياء
رجالٌ قد بنوا للدين مجدًا ... رفيعًا لا يطاوله علاء
وصانوا الدين من بدع تمشت ... بجوهره وقد عزَّ الدواء
فهم للخطب إن وجدوا رجال ... وهم للدين إن نهضوا وقَاءُ
رجال ليس تلهيهم حياة ... ولا جاهٌ لديهم أو ثراء
هم القوم الأولى شادوا ديارًا ... فقرَّ الصرح وارتفع البناء
إذا رددتُ ذكراهم فإني ... أردِّد عزمةً فيها المضاء
أتى من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا ... أصول الشرع في الدنيا وساءوا
أبوْا للدين أن يعلو مقامًا ... وهاموا بالذي فيه البلاء
وقد ملأ القلوب الغلُّ حتى ... فقدنا الحق وانقطع الولاء
تركنا النشء حرًّا لا يبالي ... وليس له إلى الدين انتماء
وكيف يَعزُّ في الدنيا شقيٌّ ... جفاه الدين فازداد العناء
كذلك من يعيش بغير دين ... تبدد شمله وذوى الحياء

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها

فضيلة الشيخ

أبو اسحاق الحويني

● يسأل القارئ : عنان محمد كمال - كفر الدوار ، مركز الباجور - منوفية - عن صحة هذه الأحاديث في فضل كلمة التوحيد :

١- « حضر ملك الموت ﷺ رجلاً ، فنظر إلى عضوٍ من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ، ثم شق عليه قلبه ، فلم يجد شيئًا ، ثم فك عن لحيته فوجد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، فقال : وجبت له الجنة يقول كلمة الإخلاص » ؟

○ الجواب بحول الملك الوهاب : **حديثٌ ضعيفٌ** .

أخرجه ابن أبي الدنيا في « كتاب المحتضرين » (ق ٢/٣) ، قال : حدثنا محمد بن الصباح ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (ج٣/ رقم ٩٨٤ طبع الهند وج٦/رقم ٩٢٣٥ طبع بيروت) من طريق عبد اللّه الأويسي ، والخطيب في « تاريخه » (١٢٥/٩) من طريق سعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن موسى بن عقبة ، عن رجل من آل عبادة بن الصامت ، عن أبي هريرة مرفوعًا فذكره . ووقع عند ابن أبي الدنيا مختصرًا .

وعزاه العراقي في « تخريج الإحياء » (٤٦٦/٤) إلى الطبراني ، وقال : (وإسناده جيد ، إلا أن في رواية البيهقي رجلاً لم يُسم ، وفي رواية الطبراني إسحاق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيفٌ) . اهـ .

وعزاه الزبيدي في « إتحاف السادة » (٢٧٥/١٠) إلى ابن لال في « مكارم الأخلاق » ، والديلمي في « مسند الفردوس » ، أمَّا قول العراقي : إسناده جيد ، فغير جيد ؛ لأن في الإسناد رجلاً مجهول العين والصفة ، وابن أبي الزناد في حفظه لينٌ . والله أعلم .

٢- « إن للّه تبارك وتعالى عمودًا من نور بين يدي العرش ، فإذا قال العبد : لا إله إلا اللّه اهتز ذلك العمود ، فيقول اللّه تبارك وتعالى : اسكن ، فيقول : كيف أسكن ولم يغفر لقائلها ، فيقول : إني قد غفرت له ، فيسكن عند ذلك » ؟

○ الجواب : **حديثٌ باطلٌ** .

أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٦٤/٣) من طريق محمد بن يونس الكديمي ، ثنا إبراهيم ، ثنا عبد اللّه بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري ، ثنا عبد اللّه بن أبي بكر بن المنكدر ، عن صفوان بن سليم ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، فذكره .

قال أبو نعيم : (غريبٌ من حديث صفوان ، تفرد به ابن المنكدر ، رواه محمد بن أشرس ، عن عبد الصمد بن حسان ، عن سفيان الثوري ، عن صفوان مثله) .

● قلتُ : وهذا سندٌ ضعيفٌ جدًا ، ومحمد بن يونس متهم

متروك ، لكنه لم يتفرد به ، فتابعه سلمة بن شبيب ، وهو ثقةٌ حافظ ، فرواه عن عبد الله بن إبراهيم بسنده سواء .

أخرجه البزار في «مسنده» (٣٠٦٦- كشف الأستار) ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/٦) من طريق أبي جعفر الوراق أحمد بن صالح الرازي وأبي العباس الظهراني عبد الرحمن بن محمد ، ثلاثتهم ، قالوا : ثنا سلمة بن شبيب به .

قال البزار : (لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد ، وعبد الله بن إبراهيم ليس بالقوي في الحديث ، وإنما ذكرنا هذا لحسن كلامه) . اهـ .

وعبد اللّه بن إبراهيم هذا متروكٌ شديد الضعف . قال أبو داود : (منكر الحديث) . وقال ابن عدي : (عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات) . وقال الدارقطني : (حديثه منكر) . وذكر له ابن حبان في «المجروحين» (٣٧/٢) هذا الحديث من بلاياه ، وقال : (كان ممن يأتي عن الثقات بالمقلوبات ، وعن الضعفاء بالملزقات) . ثم أورد حديثًا باطلا عنه عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ثم قال : (على أن عبد الرحمن ليس هذا من حديثه بمشهور ، فكأن القلب إلى أنه من عمل عبد الله بن أبي عمرو أميل) .

وقال الحاكم : (يروي عن جماعةٍ من الضعفاء أحاديث موضوعة ، لا يرويها عنهم غيره) . وأمَّا ما ذكره أبو نعيم من المتابعة ، فإنها لا تثبت ، ومحمد بن أشرس قال الذهبي في «الميزان» (٤٨٥/٣) : (متهم في الحديث ، وتركه أبو عبد اللّه بن الأخرم الحافظ وغيره) . وذكر الحافظ في «اللسان» (٨٤/٥) أن الدارقطني ضعفه ، وأن الضياء المقدسي أخرج له في «المختارة» ، ثم قال : (وخفي على الضياء حال محمد بن أشرس) .

٣- «ما من عبد قال : لا إله إلا اللّه في ساعةٍ من ليل أو نهار ، إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات» ؟

○ الجواب: **حديثٌ ضعيفٌ جدًا.**

ذكره المنذري في «الترغيب» (٤١٦/٢) ، والهيثمي في «المجمع» (٨٢/١٠) ، وعزاه كلاهما إلى أبي يعلى في «مسنده» . وقال الهيثمي : (فيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري ، وهو متروك) .

وعزاه الدمياطي في «المتجر الرابح» (١٢٩١) لأبي يعلى ، ولم يتكلم عليه بشيء ، والمنذري كان أحسن حالاً منه ؛ لأنه وإن لم يتكلم على الحديث صراحة ، إلا أنه صدره بقوله : (رُوي عن أنس) . هكذا بصيغة التمريض التي تدل على ضعف الحديث أو وهائه كما صرَّح هو في مقدمة كتابه .

٤- «صلوا على من قال : لا إله إلا اللّه ، وصلوا خلف من قال : لا إله إلا اللّه» ؟

○ والجواب : **حديث ضعيفٌ** .

أخرجه الدارقطني (٥٦/٢) ، والخطيبُ في «تاريخه» (٣٠٩/٦ و٢٩٣/١١) من طريق محمد بن الفضل عن سالم الأفطس ، عن مجاهدٍ ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب مرفوعًا ، فذكره .

وسنده واهٍ جدًا ، ومحمد بن الفضل كذبه ابن معين ، واتهمه أحمد ، وتركه النسائي ، وخالفه سويد بن عمرو ، فرواه عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر مثله . أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٢٠/١٠) من طريق نصر بن الحريش الصامت ، ثنا المشمعل بن ملحان ، عن سويد بن عمرو به . ونصر ضعَّفه الدارقطني ، كما في «تاريخ بغداد» (٢٨٦/١٣) ، وكذلك ضعَّف الدارقطني المشمعل بن ملحان ، ومشاه ابن معين ، وذكره ابن حبان في «الثقات» ، وله طريقٌ آخر عن ابن عمر . أخرجه الدارقطني (٥٦/٢) ، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٣١٧/٢) ، وابن الجوزي في «الواهيات» (٤٢٠/١) من طريق عثمان بن عبد الرحمن ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عمر مرفوعًا به .

قال ابن الجوزي : (عثمان نسبه يحيى - يعني : ابن معين - إلى الكذب) . وله طرق عن ابن عمر كلها ساقطة ، وله شاهد بمعناه من حديث أبي هريرة

مرفوعًا : ((صلوا خلف كل بر وفاجر ، وصلوا على كل بر وفاجر ، وجاهدوا مع كل بر وفاجر)) .

أخرجه أبو داود (٣٠٤/٢، ٣٠٥، ٢٠٧/٧ عون المعبود) ، والدارقطني (٥٧/٢) ، والبيهقي في ((السنن الكبير)) (١٢١/٣) ، وابن الجوزي في ((الواهيات)) (٤١٨/١، ٤١٩) من طريق معاوية بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن مكحول ، عن أبي هريرة به . قال الدارقطني : (مكحول لم يسمع من أبي هريرة ، ومن دونه ثقات) . وقال البيهقي : (إسناده صحيحٌ ، إلاَّ أن فيه إرسالا بين مكحول وأبي هريرة) . وكذلك أعلَّه ابن الجوزي ، والمنذري ، وابن التركماني وغيرهم ، غير أن ابن الجوزي انفرد عنهم بعلة أخرى ، هي عجيبةٌ من الأعاجيب ! وهي تضعيفه لمعاوية بن صالح ، فما أصاب ، ومعاوية ثقةٌ من رجال الصحيح ، كما قال ابن عبد الهادي .

والحديث ضعَّف النووي إسناده في ((المجموع)) (١٥٢/٤، ١٥٣) ، وضعَّفه غيره .

● ويسأل : إبراهيم السيد محفوظ - طالب بجامعة الأزهر عن صحة الحديث القائل : ((لا صلاة لمن عليه صلاة)) ، فقد قال بعض الخطباء : إن النبي ﷺ قاله ؟

○ والجواب : **أن هذا الحديث لا أصل له** .

قال إبراهيم الحربي ، رحمه الله : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن معنى هذا الحديث ، فقال : لا أعرفه البتة . قال إبراهيم : ولا سمعت أنا بهذا عن النبي ﷺ قط . كذا نقله ابن الجوزي في ((الواهيات)) (٤٣٩/١) ، وقال : (هذا حديث نسمعه من ألسنة الناس ، وما عرفنا له أصلاً) . اهـ . ووافقه ابن دقيق العيد في ((الإمام)) - كما في ((نصب الراية)) (١٦٦/٢) للزيلعي - وابن القيم في ((المنار المنيف)) (٤٦) .

● ويسأل القارئ : تامر بسيوني العبد - قرية ميت حبيش البحرية - طنطا - عن درجة هذا الحديث : ((اطلبوا الأشياء بعزة نفس ، فإن الأمور تجري بمقادير)) ؟

○ والجواب : **أن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ** .

فأخرجه تمام الرازي في ((الفوائد)) (١١٦٩) ، ومن طريقه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (ج١٥/ ق٣٥٦) قال : أخبرنا أبو زرعة محمد بن سعيد بن أحمد القرشي ، ويعرف بـ (ابن التمار) ، نا علي بن عمرو بن عبد الله المخزومي ، نا معاوية بن عبد الرحمن ، نا حريز بن عثمان ، نا عبد الله بن بُسْر المازني مرفوعًا : ((اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير)) . وشيخ تمام الرازي لم يذكر ابن عساكر في ترجمته شيئًا يدل عليه ، وشيخه علي بن عمرو لم أعرفه ، ومعاوية بن عبد الرحمن قال أبو حاتم : (ليس بمعروف) . أما ابن حبان فوثقه على قاعدته المعروفة ، وهذا الحديث عندي منكر . والله أعلم .

● ويسأل القارئ : حسين عبد المنعم إبراهيم - عن درجة هذا الحديث : ((اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن)) ؟

○ الجواب : فقد ورد من حديث أم سلمة وعائشة ، رضي الله عنهما .

أما حديث أم سلمة ؛ فأخرجه ابن جرير في ((تفسيره)) (٦٦٥٢) قال : حدثنا المثنى ، ثنا الحجاج بن المنهال ، ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري ، ثنا شهر بن حوشب ، قال : سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول : ((اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)) . قالت : قلت : يا رسول الله ، وإن القلب ليقلبُ ؟ قال : ((نعم ، ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا وقلبه بين أصبعين من أصابعه ، فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه ، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة ، إنه هو الوهاب)) . قلت : يا رسول الله ، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟

قال : ((بلى ، قولي : اللهم رب النبي محمدٍ اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن)) .

● قُلْتُ : وشيخ الطبري هو المثنى بن إبراهيم لم أجد له ترجمة ، ولكنه لم يتفرد به ، فتابعه علي بن عبد العزيز ثنا حجاج بن منهال بسنده سواء . أخرجه الطبراني في ((الكبير)) (ج٢٣/ رقم ٧٨٥) ، وتوبع حجاج بن منهال . تابعه هاشم بن القاسم ثنا عبد الحميد بن بهرام بسنده سواء مثله . أخرجه أحمد في ((المسند)) (٣٠٢/٦) ، ورواه وكيع بن الجراح وأسد بن موسى ومحمد بن بكار ، ثلاثتهم ، عن عبد الحميد بن بهرام بسنده سواء مختصرًا ليس فيه محلُّ الشاهد . أخرجه أحمد (٢٩٤/٦) ، وابن جرير (٦٦٥٠، ٦٦٥٨) ، وابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (١٤٥- آل عمران) ، وابن مردويه في ((تفسيره)) - كما في ((ابن كثير)) (١٠/٢) ، ورواه أبو كعب صاحبُ الحرير واسمه عبد ربه بن عبيد الأزدي الجرموزي ، وثقه ابن معين وغيره ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة مختصرًا .

أخرجه الترمذي (٣٥٢٢) ، وأحمد (٣١٥/٦) ، وابن أبي عاصم في ((السنة)) (٢٢٣، ٢٣٢) ، عن معاذ بن معاذ ، وأبو يعلى في ((مسنده)) (٦٩١٩) عن أبي عاصم النبيل . والطبراني في ((الكبير)) (ج٢٣/ رقم ٧٧٢) عن مسلم بن إبراهيم ، ثلاثتهم ، عن أبي كعب صاحب الحرير به .

وأخرجه ابن خزيمة في ((التوحيد)) (ص ١٩١) ، والآجري في ((الشريعة)) (ص ٣١٦) من طريق عبد الله بن أبي الحسين ، ومقاتل بن حيان ، كلاهما عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة مختصرًا .

قال الترمذي : (هذا حديثٌ حسنٌ) . وقال الزبيدي في ((إتحاف السادة)) (١٠٥/٥) : (ورأيت بخط الحافظ السخاوي ما نصُّه : هو في ((مسند أحمد)) من حديث أم سلمة في حديث طويل وسنده حسنٌ) .

● قُلْتُ : لعلَّ الترمذي حسَّن أصل الحديث - يعني في تقليب القلوب - فإن له شواهد صحيحة ، وشهر بن حوشب ، فتكلم العلماء في حفظه . وقد وجدتُ للفقرة المسئول عنها شاهدًا من حديث عائشة ، رضي الله عنها ، أخرجه ابن السُّني في ((اليوم والليلة)) (٤٥٥) قال : أخبرني محمد بن أحمد بن المهاجر ، ثنا إبراهيم بن مسعود ، ثنا جعفر بن عون ، ثنا أبو العميس ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، قال : كانت عائشة ، رضي الله عنها ، إذا غضبت عرك النبي ﷺ بأنفها ، ثم يقول : ((يا عويش ، قولي : اللهم ربَّ محمد ، اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن)) .

وهذا سندٌ قويٌّ ، لولا أني لم أقف على ترجمة لشيخ ابن السني .

ثم وجدت ابن السني أخرجه في موضع آخر (٦٢٢) قال : أخبرني أبو عروة ، حدثنا علي بن ميمون ، ثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، عن سلمة بن علي ، عن هشام بن عروة ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا غضبى ، فأخذ بطرف المفصل من أنفي فعركه ، ثم قال : ((يا عويش ، قولي : اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من الشيطان)) .

قال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣٢٦/١) : (إسناده ضعيفٌ) . والصواب : أنه ضعيفٌ جدًا . ومسلمة بن علي هو الخشني . قال أبو حاتم : (هو في حدِّ الترك) ، وقد تركه النسائي ، والدارقطني والبرقاني . وقال أبو أحمد الحاكم : (ذاهبُ الحديث) . وقال ابن عدي : (جميع أحاديثه غير محفوظة) . والكلام فيه طويل الذيل .

وقد وجدت له طريقًا آخر . أخرجه ابن عساكر في ((تاريخه)) - كما في ((ابن كثير)) (٦٠/٤) - من طريق أبي أحمد الحاكم ، عن الباغندي ، عن هشام بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الجون ، عن مؤذن لعمر بن عبد العزيز عن مسلم بن يسار ، عن عائشة مثله . وسنده ضعيف .

وهشام بن عمار تكلم النقاد في حفظه . وابن أبي الجون قال أبو حاتم - كما في ((الجرح والتعديل)) (٢٤٠/٢/٢) -: (يكتب حديثه ولا يحتج به) . وضعفه أبو داود كما في ((الميزان)) (٥٦٨/٢) ، ووثقه دحيم ، ومشاه ابنُ عدي . ومؤذن عمر بن عبد العزيز مجهول ، والله أعلم .

وخلاصة البحث : أن الحديث ضعيفٌ ، ولو كان شيخ ابن السني في الطريق الأول ثقة لصح الحديث .

والعلم عند الله تعالى . والحمد لله رب العالمين .

الفتاوى

إعداد
لجنة الفتوى
بالمركز العام
رئيس اللجنة
محمد صفوت نور الدين
أعضاء اللجنة
صفوت الشوادفي
د. جمال المراكبي

ليت الأزهر يقرر على طلابه منهج السلف الصالح في الاعتقاد في باب الصفات.

● يسأل : السيد محمد عبد الحميد - شبرا العنب - منيا القمح شرقية - يقول :

أريد أن أعرف هل أبو الحسن الأشعري في عداد أهل السنة ، أم أنه في عداد الفرق المبتدعة ؟

⊙ والجواب : أبو الحسن الأشعري هو علي بن إسماعيل بن إسحاق ، يتصل نسبه بالصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ، إمام متكلم ، بدأ حياته العلمية على مذهب المعتزلة يعتنقه ويناظر عليه ، متأثرًا بأستاذه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره ، ثم هجر مذهب المعتزلة ، وناظرهم ، وأبطل الكثير مما زيفوه ، حتى قال الخطيب البغدادي عنه : كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم .

ولكنه مع مناصرته للسنة وقمعه للبدعة كان يتبع في ذلك منهج علماء الكلام ، وكل من تابع الأشعري واعتنق مذهبه من العلماء يلتزم هذه الطريقة ويقررها حتى يومنا هذا ، ومناهج التوحيد والاعتقاد التي يتم تدريسها في الأزهر على هذا المنهج .

ثم هدى الله الأشعري فأعلن التمسك بالسنن ونبذ الكلام ، مقتديًا في ذلك بالإمام أحمد بن حنبل ، كما قرر ذلك في كتابه « الإبانة عن أصول الديانة » ، وهو من آخر ما كتب ، رحمه الله .

ومما قيل في سبب توبته ورجوعه إلى الحق أنه قال : وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد ، فقمت وصليت ركعتين ، وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم ، ونمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر ، فقال لي رسول الله

ﷺ : « عليك بسنتي » . فانتبهت ، وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار - أي السنن والأحاديث - فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهريًا .

قال ابن كثير : ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال :

أولها : حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة .

الحال الثاني : إثبات الصفات العقلية السبعة وهي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وتأويل الصفات الخبرية ؛ كالوجه ، واليدين ، والقدم ، والساق ... ونحو ذلك .

والحال الثالث : إثبات ذلك كله - أي إثبات جميع صفات الله عز وجل الثابتة بالقرآن وبصحيح السنة - من غير تكييف ولا تشبيه جريًا على منوال السلف ، وهي طريقته في « الإبانة » التي صنفها آخرًا . اهـ .

خاتمة : ليت الأشاعرة يعودون إلى الحق الذي عاد إليه إمامهم ، ويقولون بما قاله آخرًا من إثبات الصفات من غير تمثيل ولا تكييف .

وليت الأزهر يقرر على طلابه منهج السلف الصالح في الاعتقاد في باب الصفات ، وليكن كتاب « الإبانة » مقررًا في مراحل التعليم الأزهري . وفق الله الجميع للسداد .

حكم قيام الليل في جماعة في غير رمضان !!

● ويسأل نفس القارئ :

عن حكم قيام الليل في جماعة في غير رمضان ؟

⊙ **والجواب** : يجوز قيام الليل في جماعة في غير رمضان ، بشرط عدم المواظبة على ذلك واتخاذه سنة .

فالنبي ﷺ كان يقيم الليل ، وكان بعض أصحابه يصلي بصلاته ، كما في قصة صلاة ابن عباس خلفه بالليل ، ولم ينكر النبي ﷺ على من صلى خلفه النافلة ، فدل ذلك على الجواز ، ولما كان النبي ﷺ من دأبه أن يصلي النوافل منفردًا ، كانت السنة صلاتها فرادى ، يستوي في ذلك نوافل الليل أو النهار .

ومما يشهد لجواز الجماعة في صلاة الليل ؛ ما رواه أبو داود والنسائي مرفوعًا : « إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ، أو صلى ركعتين جميعًا ، كتبا في الذاكرين والذاكرات » . والله أعلم .

● ويسأل : سعيد إسماعيل سالم - عن :

كيفية التصرف في مصاحف بالية وغير صالحة للقراءة ؟

⊙ **والجواب** : قد سبق أن نشرنا جوابًا مفصلاً لهذا السؤال وذكرنا أقوال أهل العلم في ذلك .

وخلاصته : أن تحرق هذه المصاحف ، وتدفن في الأرض في تراب طاهر ، صيانةً لها من العبث أو الضياع . والله أعلم .

* * *

الحج فرض على المستطيع

● ويسأل نفس القارئ :

عن حكم من يذهب لأداء العمرة ، ثم يتخفى في مكة حتى يتمكن من أداء الحج ؟

⊙ **والجواب** : أن الحج فرض على المستطيع ، والاستطاعة تعني القدرة على السفر بالطرق المشروعة ، ووجود النفقة الكافية له ولمن يعول ، وقد يكون المسلم مستطيعًا للعمرة ، غير مستطيع للحج ؛ لعدم قدرته على نفقاته ، ومثل هذا لا يلزمه الحج ، فإذا ما تخفى وهرب من السلطات حتى يتمكن من الحج فقد ألزم نفسه بما لا يلزمها شرعًا ، وأوقع نفسه في الحرج الذي رفعه الشرع الحنيف ، وأوقع نفسه كذلك في مخالفة شرعية بخروجه على اللوائح التي تنظم عملية الحج والعمرة ، فيأثم بذلك ، خاصة وأنه يكون سببًا في الزحام والمشقة التي تنال الحجيج .

ولكن مع هذا الإثم والحرج ، فحجه صحيح يسقط عنه الفريضة ، طالما استوفى الشروط والأركان . والله أعلم .

الدية مشروعة في القتل الخطأ

● ويسأل : أبو أحمد شوقي حامد - البحيرة - دمنهور :

توفي أبوه في حادث سيارة ، وعرض عليه أهل البلد خمسون ألف جنيه ، علمًا بأن القتل كان خطأ ، ولم تقبل الأسرة ، ثم طلبت من المحكمة تعويضًا فقضت لهم المحكمة بالتعويض من شركة التأمين ، فهل يجوز قبوله ؟

⊙ **والجواب** : أن الدية مشروعة في القتل الخطأ ، وفي القتل شبه العمد ، وهي في القتل الخطأ مائة من الإبل ، وفي شبه العمد مائة من الإبل ؛ أربعون منها في بطونها أولادها ، وهي على العاقلة ، وهم عصبته ؛ أي أقاربه من الرجال من جهة أبيه ، وهي دية مؤجلة يؤدونها في ثلاث سنين إلى ورثة المقتول ، وتقسم كتقسيم الميراث ، ويجوز أن يعافوا من صدقات أهل الخير .

وإذا فرض ولي الأمر على جماعة السائقين أن يشتركوا في أداء هذه الدية لزمهم ذلك ، والله أعلم .

زكاة المال تجب على الورثة من وقت انتقال ملكيته إليهم !!

● ويسأل : مصطفى السيد أحمد - من الدقهلية - يقول :

توفي والده في شهر رجب ، وكان موعد حول زكاة ماله في رمضان ، فهل يخرج الورثة زكاة مالهم في رمضان ؟

⊙ **والجواب** : إن زكاة هذا المال على الورثة من وقت انتقال ملكيته إليهم ، بشرط أن يبلغ نصابًا .

* * *

من فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله

● سئل الشيخ : بعض الناس ينكرون على من قال : (جل من لا يسهو) ، فهل هذه العبارة خطأ ؟

⊙ **والجواب** : لا ، بل هي عبارة صحيحة ، فيها إثبات السهو لغير اللَّه ، وتنزيه اللَّه تعالى عن السهو ، وفيها إشارة إلى أن الإنسان معذور في سهوه ، سواء كان نبيًّا ، أو وليًّا ، أو صالحًا من الصالحين .

● سئل الشيخ : عن وجه الجمع بين الأحاديث التي فيها تسمية يد اللَّه تعالى الأخرى شمالاً ، وحديث : « كلتا يدي ربي يمين مباركة » ؟

⊙ **والجواب** : حديث : « كلتا يدي ربي يمين » من باب التغليب لنفي الضعف عن يده – تعالى – الأخرى ؛ لأن عادة بني آدم أن تكون يده اليمنى أقوى من يده الشمال ، واللَّه تعالى منزه عن ذلك ، وفي مثل هذه الأحاديث التي تحتاج إلى الجمع ، خاصة في العقائد ، يرجع إلى كتاب « تأويل مختلف الحديث » للإمام ابن قتيبة ، وكذلك من الكتب القيِّمة في هذا الموضوع كتاب « مشكلات الحديث » لعبد اللَّه القصيمي ، وكان تأليفه لهذا الكتاب قبل مروقه وتلاعبه بالدين .

● سئل الشيخ : عن الفرق بين إرادة اللَّه تعالى وأمره ؟

⊙ **والجواب** : إرادة اللَّه تعالى قد تكون على عكس أمره ، فهو سبحانه أمر أبا جهل بالإيمان ، مع عدم إرادته كونًا أن يؤمن .

فيفرق بين أمره تعالى الشرعي وبين إرادته الكونية بالمحبة ، فإنه سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بما يحب ، وقد يريد كونًا خلافه .

● سئل الشيخ : عن بعض عبارات الإمام ابن قدامة في « لمعة الاعتقاد » ، التي يفهم منها التفويض ؟

⊙ **والجواب** : مذهب السلف هو التفويض في كيفية الصفات لا في المعنى ، وقد غلط ابن قدامة في « لمعة الاعتقاد » ، وقال بالتفويض ، ولكن الحنابلة يتعصبون للحنابلة ، ولذلك يتعصب بعض المشايخ في الدفاع عن ابن قدامة ، ولكن الصحيح أن ابن قدامة مفوض .

● سئل الشيخ : عن معنى « حجابه النور » ؟

⊙ **والجواب** : بصر الإنسان لا يقوى على رؤية نور الحجاب الذي يحجب ذات اللَّه تعالى عن الرؤية ، فنور الحجاب لا تدرك كيفيته إلا عند رؤيته تعالى في الآخرة .

● سئل الشيخ : عن قدم اللَّه تعالى ورجله ، هل هما صفتان أو صفة واحدة ؟

⊙ **والجواب** : قدم اللَّه تعالى هي رجله ، صفة واحدة ، وهما روايتان في الحديث .

ومن قال : كيف تحيط النار برجله أو قدمه تعالى ؟ فنقول : هذا بحث في الكيفية ، ومذهب السلف تفويض الكيفية ، وعندما يضع الجبار قدمه ينزوي بعض النار عن بعض ، فإذا تضامت ملأها ما قد ألقى فيها .

● سُئل الشيخ : عن المشيئة ، هل هي كونية فقط ، أو هي كونية وشرعية كالإرادة ؟

⊙ **والجواب** : الإرادة بمعنى المحبة شرعية ، وبمعنى المشيئة كونية ، فالمشيئة هي الإرادة الكونية لا غير ، فالإرادة أعم من المشيئة .

● سُئل الشيخ : عن صفة المكر والمخادعة والاستهزاء ونحوها ؟

⊙ **والجواب** : قوله تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، وقوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة : ١٥] ، وقوله : ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٩] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ [الأنفال : ٤٤] ، وبالفعل أقدم هؤلاء وهؤلاء ، ثم بعد ذلك صار المسلمون يرون أنهم ضعف الكفار ، كما في « آل عمران » : ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ [آل عمران : ١٣] ، هذا تفسير للمكر والمخادعة ، وتفسير آخر هو انطفاء نورهم على الصراط في سورة « الحديد » : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] ؛ أي تركهم وخذلهم ، لا بمعنى ذهاب الشيء من الذاكرة ، حاشا لله .

الصفات السابقة يسميها العلماء صفات خبرية يصح أن نستعمل تركيبها مشابهًا لتركيب القرآن ؛ أي مصاحبًا للمكر من المخلوق .

فنقول : اللَّه ماكر بالماكرين ، ومستهزئ بالمستهزئين ، ومخادع من يخادعه ، ولا يصح أن نقول : يا ماكر - حاشا للَّه - والصفات السابقة نوع من الصفات الفعلية ، إلا أنها لا بد من اقترانها بالسياق الوارد .

والمكر نوعان : حسن ، وسيئ ، والمنسوب للَّه هو المكر الحسن .

● سُئل الشيخ : عن صفات الذات وصفات الفعل ؟

⊙ **والجواب** : صفات المعاني داخلة في صفات الذات سلط كلمة مشيئة (إذا شاء قدر) لا يصح ، فهي صفة ذات (إذا شاء خلق) يصح ، فهي صفة فعل تقول : شاء أن يحيي فلانًا أو ينجيه أو يميته ، لكن لا يصح : شاء اللَّه أن يكون عالمًا أو قادرًا .

● وسُئل الشيخ : هل الكفار يرون اللَّه في المحشر ؟

⊙ **والجواب** : نعم ، الناس كلهم في الموقف يرون اللَّه تعالى ، لكن الكفار لا يتنعمون بالرؤية ، حتى أطيب عباد اللَّه يكونون في بلاء .

أما الرؤية التي فيها نعمة فهي في الجنة .

والرؤية في المحشر ليست خاصة بالمنافقين ، بل تعم أنواع الكفار .

● سُئل الشيخ : هل اللقاء بمعنى الرؤية ؟

⊙ **والجواب** : اللقاء ليس بمعنى الرؤية ، واستدلال من استدل بقوله : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] على الرؤية لا يصح ؛ لأنه استدلال بما لا دليل فيه .

* * *

من مكارم الأخلاق

بقلم مهندس / محمد ياسين بدر
نائب رئيس فرع التل الكبير

الحمد لله وحده .. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ..

إخواني القائمين على مجلة التوحيد ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وجزاكم الله خيرًا على هذا الجهد الذي تبذلونه لتخرج المجلة في أحسن صورة ، وزادكم الله نجاحًا ، فأنتم بفضل الله من نجاح إلى نجاح ، وجعل الله عز وجل هذا العمل في ميزان حسناتكم يوم القيامة ، وهذه مساهمة يسيرة من أخ لكم ، فإن قبلتموها فجزاكم الله خيرًا ، وإن رددتموها فأنتم أعلم مني بما هو أفضل وأنسب .. وأيضًا جزاكم الله خيرًا .

جلس موسى بن إسحاق قاضي (الري) ، و (الأهواز) في القرن الثالث الهجري ينظر في قضايا الناس ، وكان بين المتقاضيين امرأة ادَّعت على زوجها أنَّ عليه خمسمائة دينار مهرًا لها ، فأنكر الزوج أن لها في ذمته شيئًا ، فقال له القاضي : هات شهودك ، فقال : قد أحضرتهم ، فاستدعى القاضي أحدهم وقال له : انظر إلى الزوجة لتشير إليها في شهادتك ، فقام الشاهد وقال للزوجة : قومي ، فقال الزوج : ما تريد منها ؟ فقال له : لا بد أن ينظر الشاهد إلى امرأتك وهي مسفرة الوجه لتصبح عنده معرفة بها ، فكره الرجل أن تُضْطَرَّ زوجته إلى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس ، فصاح : إني أشهد القاضي على أن لزوجتي هذا المهر الذي تدَّعيه ولا تسفر عن وجهها ، فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرت في رجلها أن يضن بوجهها على رؤية الشهود ، وأنه يصونها عن أعين الناس ، فصاحت تقول للقاضي : إني أُشْهِدُك أني قد وهبتُ له هذا المهر ، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة ، فقال القاضي لمن حوله : اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق .

فليتق الله رجال لا يغارون على نسائهم ، فسمحوا لهنَّ أن يخرجن متبرجات كاسيات عاريات ، فينظر لهن الرجال في الطرقات .

إنَّ الرجال الناظرين إلى النساء
مثل الكلاب تطوفُ باللحمانِ
إنْ لم تَصُنْ تلك اللحومَ أسودُها
أُكِلت بلا عِوَضٍ ولا أثمانِ

وليتق الله نساء يَنْتَسِبن إلى الإسلام ، ويدعين حب الله وحب رسوله وهُنَّ يَبْغَضْنَ الحجاب وأهله ويُحْبِبْنَ السفور وأهله .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وهذه الآية تسمى آية المحبة ، قال بعض السلف : ادَّعى قوم محبة الله ، فأنزل الله آية المحبة هذه ، إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها ، فدليلها وعلامتها : اتباع الرسول ﷺ ، وفائدتها وثمرتها : محبة المرسل لكم ، فما لم تحصل منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة ، ومحبته لكم منتفية .

وليتق الله قضاة يحكمون على مَنْ سترت وجهها بالتطرف والإرهاب ، بدلاً منْ أنْ يعدوا ذلك من مكارم الأخلاق . والله من وراء القصد .

تحليل إخبـاري

كوســوفا بيـــن ضـــربات

يهل علينا عام هجري جديد .. وحالنا كما هو ليس أحسن حالاً من أعوام سابقة ، فنحن مازلنا نتلقى الضربات ، الضربة تلو الأخرى ، والجسد أصبح عليلاً ينتظر الدواء ، وشعب كوسوفا يتلقى الضربات ، ويُشرد في بقاع شتى ، والآلاف من الصبية والنساء .. والجرحى والمرضى يبحثون عن مأوى يأويهم .. وعن دولة تقبلهم .. وهم يفرون أسرابًا وجماعات هربًا من الجحيم ، ما بين نار جزار الصرب ، مجرم الحرب « ميلوسوفيتش » ، الذي قام بحملات إبادة جماعية ضد الألبان المسلمين في إقليم « كوسوفا » ، وكان آخرها إعدام أربعة من زعماء ألبان كوسوفا البارزين ، من بينهم أحد المفاوضين ، وأحد المحررين بصحيفة محلية في كوسوفا .

وبين القصف العشوائي الذي يقوم به حلف شمال الأطلنطي « الناتو » ، والذي قامت به أمريكا ، ومعها حلفاؤها من حلف الأطلنطي ، محاولة إيهام العالم بأنها قد قامت بذلك العمل من أجل مسلمي كوسوفا ، ولكن هيهات أن تقوم أمريكا أو أي من حلفائها بتلك الضربات من أجل إقامة تجمع إسلامي قد يكون دولة في يوم من الأيام في وسط أوربا !! فهذا من المستحيلات ، وهو ما تعمل أمريكا والقوى الغربية على تدميره .. وبتره ، بل والقضاء عليه .

وليس حرب البوسنة والمجازر التي وقعت ضد مسلمي البوسنة ببعيد ، ونفس الجزار ونفس الأدوار ، ونفس المؤامرات ، كل ذلك يحدث ونحن ننتظر ، بل ننظر بعين المتفرج على ما يقع - إلاَّ من رحم ربي من بعض الدول التي أصدرت بيانات هزيلة خافتة تشتري بها ماء الوجه - ننتظر أمريكا ودول الناتو كي تنقذ شعبًا مسلمًا من مذابح وإبادة وطرد جماعي ، وإحراق قرى كاملة تحت سمع وبصر العالم كله ، والمسلمون لا حول لهم ولا قوة!!

الحرب التليفزيونية الأمريكية

ومرة أخرى تثبت الغارات التي يشنها حلف شمال الأطلنطي « الناتو » وكأنها حرب تليفزيونية غرضها الدعاية لأسلحة جديدة وتجربتها، واستعراض القوة ، فلا تترك أثرًا إيجابيًا يذكر ، بل على العكس ، فقد تترك آثارًا سلبية واسعة المدى ، وهذا بالفعل ما حدث في كوسوفا !!

والمطالع للأحداث يجد أن عمليات الإبادة والطرد الجماعي للسكان المسلمين في الإقليم بلغت حتى بدء وقوع غارات الناتو حوالي مائة وخمسين ألفًا من السكان ، وحتى كتابة هذه السطور تطالعنا الأنباء بأن عدد من تم طردهم بعد شن الغارات - من قِبل الناتو - بلغ ما يقارب المليون من سكان كوسوفا ، بالإضافة إلى مئات الآلاف من السكان يعتقلهم الصرب لاستخدامهم كدروع بشرية في بعض المواقع التي ربما تتعرض للغارات من قبل الناتو .

أمريكا وسيادة العالم !!

كشفت وحشية السفاح الصربي أمريكا ، وأوقعت أمريكا في حرج شديد بين رغبتها الملحة في تأكيد سيادتها للعالم ،

بقلم / جمال سعد حاتم

الناتو.. ومذابح الصرب!!

وأنها راعية السلام ومقررة الشرعية الدولية، فاضطرت إلى شن تلك الضربات الوهمية، خاصة بعد المماطلة المطاطية في مفاوضات السلام - المزعومة - مع الرئيس الصربي، وسرعة استجابتها لضرب العراق ؟!

تفريغ كوسوفا من المسلمين !!

وعندما بدأ حلف الناتو قصف بعض الأهداف الصربية اختلطت المواقف لدى الكثير من المسلمين، وسرعان ما اتضحت الرؤيا، فضربات الناتو كانت « شكلية »، ضربة هنا، وضربة هناك، الأمر الذي أعطى الصرب الفرصة لارتكاب المذابح ضد المسلمين تحت غطاء رد الفعل، وارتكبت أبشع جرائم التطهير العرقي والطرد الجماعي للمسلمين، وتفريغ كوسوفا من أهلها، وبدلاً من أن يجبر الناتو الصرب على الانسحاب، تم إجبار المسلمين على ترك منازلهم، ثم حرق القرى وإبادة الكثير منهم واعتقالهم وإشاعة الذعر والخوف والهلع بين الجميع، حتى ينزحوا خارج كوسوفا بين دولة تقبلهم، وأخرى تتركهم في العراء !!

اللاجئون على الحدود يتسولون كسرة الخبز

وراحت كل استغاثات المسلمين أدراج الرياح، وتركهم الحلف فريسة سهلة لوحوش الصرب، وزيادة في التشفي تنقل لنا محطات التليفزيون والأقمار الصناعية صور عشرات الآلاف من اللاجئين على الحدود بين الدول يتسولون كسرة الخبز وشربة الماء من منظمات الإغاثة الأوربية !!

وتؤكد التقارير أن حملات الطرد الجماعي للمسلمين خلال أيام قصف الناتو فاقت ما حدث منذ بداية الحرب بعشرات المرات في كوسوفا !!

ومن غير المتوقع أن يتوقف الصرب عن تفريغ كوسوفا من سكانها لعدم وجود قوات برية تتصدى لهم. فلا الغرب سمح لجيش تحرير كوسوفا بتسليح

نفسه جيدًا من خلال الحصار الذي تم فرضه عليه ، ولا يريد الأوربيون إرسال قوات برية لكسر شوكة الصرب ، وبالتالي فعندما تتوقف غارات الناتو فلن يكون هناك مسلم واحد في كوسوفا.

القضاء على الوجود الإسلامي في قلب أوربا

إن هذه الجرائم في حق المسلمين قد تقضي على الوجود الإسلامي في قلب أوربا كما يخططون ، فالوجود الإسلامي هناك يشكل قلقًا بالغًا لدى الغرب وأمريكا ، كما أن الدور اليهودي في التعاون مع الصرب قد بلغ ذروته ، حيث تشير المعلومات إلى تزويد إسرائيل للصرب بالأسلحة ، وزيادة حجم التعاون التجاري والتبادل بينهما عام ١٩٩٨ م إلى ١٩ مليون دولارًا ، وكذلك إبرام اتفاقية ؛ بموجبها تبيع إسرائيل ليوغسلافيا بمقتضاها معدات عسكرية تقدر بحوالي ٣٠٠ مليون دولارًا ، فأصابع اليهود ضالعة في الأحداث ، فالهدف واحد ، وهو القضاء على الوجود الإسلامي في أوربا ، وبث العداء بين المسلمين وجيرانهم ، يتفق في ذلك الغرب واليهود وأمريكا وروسيا !!

فالهدف واحد ، وهو اقتلاع جذور المسلمين من هناك ، وكأن الناتو قد أراد أن يوجه رسالة إلى السفاح الصربي تستعجله وتحثه على إنهاء مهمته في أقصر وقت ممكن ، فالجميع متفقون على عدم رغبتهم في تواجد إسلامي قوي في أوربا ، وهل يعقل أن تدافع فرنسا عن مسلمي البوسنة والهرسك أو كوسوفا ، بينما هي لم تحتمل وجود طالبتين محجبتين في مدارسها !!

وهل يتصور عاقل أن تردع ألمانيا الصرب عن قتل سكان البوسنة وكوسوفا وذبحهم كما فعلت مع سكان كرواتيا وسولفينيا ، بينما يعاني ٦ مليون مسلم في ألمانيا شتى أنواع الاضطهاد والتمييز العنصري !!

الدور الإسلامي من الأزمة

وعلى الرغم من كل ما يحدث هناك من حملات إبادة جماعية لمسلمي كوسوفا ، وأن ذلك سوف يظل وصمة عار في جبين أوربا كلها والحضارة الغربية الزائفة ، إلا أن اللوم الأكبر ، بل الحسرة والندامة على موقف الدول الإسلامية التي لم تحرك ساكنًا ، ولم تسمح لشعوبها بالتعبير عن غضبها ، ولم تعلن المقاطعة الاقتصادية والسياسية للصرب المجرمين ، بل تقاطع بعضها بعضًا ، وهنا نتساءل : أين العالم العربي والإسلامي ؟ فإسرائيل قلقة على ٥٠٠ يهودي يعيشون في كوسوفا ، بينما مليون ونصف المليون مسلم لا أحد يسأل عنهم !! ولو استمر الحال هكذا فسوف يتحول الشعب المسلم في كوسوفا إلى لاجئين ومشردين ، وتستمر المشكلة إلى ما لا نهاية ، وتصبح لدينا فلسطين أخرى جديدة في أوربا ، وصدق اللـه إذ يقول : ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

ولقد حدثنا الرسول ﷺ ، وأنذرنا من هذا المصير ، وقد تحقق النذير ، وتداعت علينا الأمم ، وأقبلت كالذئاب الجائعة تنهش لحومنا وأعراضنا ، فقال ﷺ : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق ، كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قال : قلنا : يا رسول اللـه ، أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال : « إنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب

عدوكم ، ويجعل في قلوبكم الوهن)) . قال : قلنا : وما الوهن ؟ قال : ((حب الحياة ، وكراهية الموت)) . أخرجه أحمد .

أعداء اليوم والأمس !!

إن الذي يحدث اليوم في كوسوفا ؛ هو امتداد لما حدث بالأمس ، فهي سلسلة لم تنقطع منذ أول التاريخ الإسلامي ، وهو امتداد لنوازع الشر التي تملأ صدور أعداء الإسلام ، هو امتداد لهذه الوحشية التي يتعاملون بها مع المسلمين كلما ظهروا عليهم ، وتمكنوا منهم ، وأصبحوا قادرين على إيذائهم وإلحاق الضرر بهم ، لكن الوحشية هذه المرة مقززة تزداد ضراوة وخسة ، يتأفف منها سكان الغابات من وحوش وذئاب وحيات ، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول : ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً ﴾ [التوبة : ٨] .

وما ارتكبه الرئيس اليوغسلافي ((تيتو)) حين حكم يوغسلافيا وتمكن من المسلمين ، فقد قتل منهم حوالي ثلاثة أرباع المليون ، وقد كان ((تيتو)) يهوديًا كما هو معلوم !! وما حدث بالأمس القريب في البوسنة والهرسك ، واليوم يأتي الدور على المسلمين في كوسوفا ، ثم المسلمين في ...، وأكلتُ يوم أكل الثور الأبيض !!

سر المذابح في البلقان !!

لقد كان المسلمون يذبحون لمجرد كونهم مسلمين ، فالعداء للإسلام والمسلمين في أوربا لا يحتاج إلى بيان ، قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، وقال جل شأنه : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة : ٨٢] .

ولكن الذي حدث أخيرًا في البوسنة والهرسك ، ثم في كوسوفا بعد أن سقطت الشيوعية وتفككت دولها ، أن المسلمين أرادوا أن يمارسوا حقهم الإنساني في الحياة ، الحق المعترف به لكل البشر في الأرض ، فطالبوا بالحكم الذاتي ، وأن يكون لهم دستور يحكم حياتهم وينظم شئون بلادهم ، واعتبرت يوغسلافيا أن هذه المطالبة جريمة يستحقون عليها الإبادة الكاملة للرجال والنساء والأطفال والشيوخ ، والتدمير الكامل لكل شيء ، والعالم كله يقف موقف المتفرج .

ومن أجل ذلك حشد الصرب أكثر من ثلاثين ألف جندي مزودين بجميع أسلحة الدمار ، ودخلوا إلى كوسوفا ، في محاولة للإجهاز على كل شيء ، وفق خطة موضوعة من قبل أعداء الإسلام ، وبدأ مسلسل الإبادة الجماعية ، وإجبار الباقين على الفرار بعد سحب جوازات سفرهم وجميع الوثائق التي تثبت وتؤكد حقوقهم في ديارهم ، إضافة إلى إتلاف جميع السجلات الخاصة بالمواليد والأموال ، أو دفنهم أحياء !!

أين مجلس الأمن ؟ وأين هيئة الأمم ؟ وأين الضمير الإنساني ؟ والجواب : لا مجيب !!

التحرك لإنقاذ الموقف .

ومع بداية عام هجري جديد لا نملك إلا أن نبتهل إلى اللَّه عز وجل أن يوقظ ضمائر حكام المسلمين ، وأن يؤلف بينهم حتى تلتئم الجراح ، وتزول العداوات ، وتقف أمة الإسلام شامخة قوية بكل ما أوتيت من قوة ، عزيزة الجانب ، مرفوعة الرأس ، تذود عن دولها وتحرر مقدساتها ؛ والمسجد الأقصى المبتلى بالأسر منذ نشأته شاهدًا على ضعف المسلمين وهوانهم ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

* * *

باب السيرة

تأويل رؤيا يوسف عليه السلام

بقلم الشيخ :

عبد الرازق السيد عيد

أحمد ربي حمدًا طيبًا مباركًا فيه ، وأصلي على صفوته من خلقه وخاتم رسله ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

أخي القارئ الكريم ، وقفنا بك في لقائنا السابق عندما أعطى يوسف عليه السلام إخوته قميصه ، وطلب منهم أن يذهبوا به فيلقوه على أبيهم يأتي بصيرًا ، وتأمل قوله : ﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ ، فجمع له بعبارة بليغة موجزة بين الشفاء من العمى وبين حضوره إلى مصر واجتماعه بيوسف عليه السلام ، وإذا قلت لي : كيف عَلِمَ يوسف عليه السلام بمرض أبيه وحزنه حتى أصابه العمى ؟ أو قلت لي : كيف يبصر يعقوب عليه السلام بمجرد إلقاء القميص عليه ؟

قلت لك : ألم يكن يوسف عليه السلام نبيًا ؟ ستكون إجابتك - بلا شك -: نعم . إذن فلماذا تتعجب مما سبق ؟ ألم تعلم أن اللَّه يجري الكرامات لأنبيائه وأوليائه كرامة لهم وإكرامًا ؟ فإذا زال عجبك من هذه إيمانًا باللَّه وإذعانًا له وتسليمًا لحكمه ، فلا تتعجب من الكرامة التالية :

﴿ ولَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف : ٩٤] ؛ ولما فصلت العير خرجت القافلة من مصر متجهة إلى الشام تحمل قميص يوسف عليه السلام إلى أبيه ؛ أي بمجرد خروج الأبناء من مصر متجهين إلى الشام وجد يعقوب عليه السلام رائحة يوسف ، وأخبر أبناءه ومن حوله من الحاضرين في الشام الذين لم يعلموا شيئًا عن يوسف وحياته ، أخبرهم أنه يشمُّ رائحة يوسف ، لكن الشيخ النبي يعلم رد الفعل عند السامعين ، فقال : لولا أنكم ستقولون : شيخ خرف ، يهرف بما لا يعرف ، وحقًا ما توقع يعقوب عليه السلام ، فقد كان ردُّهم عجيبًا : ﴿ قَالُوا

تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ [يوسف : ٩٥] ، كان هذا مع الأسف ردُّهم ، وإن التمسنا لهم بعض العذر في اعتقادهم بموت يوسف عليه السلام وشدة حزن أبيه عليه ، فليس عذر في جهلهم بنبوة يعقوب عليه السلام ، فهم يعلمون أنه نبي يعلم من اللَّه ما لا يعلمون ، ولقد قال لهم ذلك مرَّة تلو مرة .

والنبي يعلم من اللَّه ما لا يعلمه غيره ، ويأتيه من الأخبار ما لم يأت غيره ، فليس عجيبًا أن يشم ريح يوسف عليه السلام من مشارف مصر وهو بالشام ، ولن نبحث كما بحث كثير من المفسرين عن كيفية ذلك ، فإن الفاعل هو اللَّه ، الذي يفعل في ملكه ما يشاء بالكيفية التي يشاء ، لكن الذين كانوا حول يعقوب عليه السلام ردوا ذلك بعقولهم ، وكذلك من يكون على شاكلتهم في كل زمان سيردُّ ذلك بعقله ، أما من كان يؤمن بقدرة اللَّه في ملكه ، وإكرامه لأنبيائه وأوليائه فسيقابل الأمر بالرضى والتسليم ، ولم يمض وقت طويل حتى جاء البشير يحمل القميص ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [يوسف : ٩٦] .

وهكذا صار الأمر المستبعد - في نظر أولئك - حقيقة ، وجاء حامل قميص يوسف عليه السلام ، وألقاه على يعقوب عليه السلام فعاد بصر يعقوب بفضل اللَّه ومشيئته ، وكان حامل القميص هو أحد الأبناء العائدين من مصر ، وقيل : إنه ((يهوذا)) ، وقيل غيره ، المهم أنه أحد الأبناء ، أراد أن يُسرع بالبشرى لأبيه قبل إخوته ، وهذا لم يزد يعقوب عليه السلام عن قوله لمن حوله : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٩٦] .

هذا هو ردُّ يعقوب النبي على الذين اتهموه في عقله ، وتعجبوا من قوله ، ذكَّرهم بأنه نبي ، وأنه يعلم من اللَّه ما لا يعلمون ، وهذه هي النبوة ، فلم

يكن هناك مبرر لاستنكارهم عليه ما أخبرهم به ؛ لأنه يعلم من اللَّه ما لا يعلمون ، وهذا درس يجب أن يتعلم منه كل من يعمل عقله في منهج الأنبياء إعمالاً مجردًا كما يفعل المعتزلة وأضرابهم .

نعود إلى يعقوب عليه السلام وأبنائه ، وبعد رؤية الأبناء للكرامة التي أكرم اللَّه بها يوسف ويعقوب عليهما السلام ، وبعد عودة بصر يعقوب إليه بإذن اللَّه بعد إلقاء القميص عليه ، وحضر باقي الإخوة من مصر ، هنا رجع الأبناء إلى أنفسهم واعترفوا بخطئهم ، كما أخبر اللَّه عنهم : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف : ٩٧] .

أجمع على هذا القول جميع الأبناء الذين جاءوا من مصر ، والذين كانوا في مجلس الشيخ بالشام ، الجميع اعترف بخطئه في حق يعقوب النبي الذين قالوا قديمًا : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف : ٨] ، والذين قالوا آنفًا : ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ . الآن ثبت للجميع أنه يعلم من اللَّه ما لا يعلمون ، فاعترفوا جميعًا أنهم كانوا خاطئين في ظنهم السوء بيعقوب النبي ، وقولهم

السوء على يعقوب النبي ، عليه الصلاة والسلام ، وعند ذلك وعدهم يعقوب أن يستغفر لهم اللّه متحريًا وقتًا أنسب للاستغفار والدعاء ، فقال - كما أخبر اللّه عنه -: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ . وهنا نقل القرآن الكريم أحداث القصة من الشام إلى مصر ، فهيا بنا إلى هناك نتابع هذه المشاهد الحاسمة والمؤثرة من القصة المباركة ، وإلى قول ربنا ، تبارك وتعالى ، في وصف الموقف : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٩] ، وهكذا انتقلت بنا أحداث القصة مباشرة إلى مشارف مصر ، حيث خرج يوسف عليه السلام ، ومن معه من رجال مصر وكبرائها في استقبال أبويه وإخوته وأهليهم أجمعين ، حيث جاءوا مهاجرين من البدو والتصحر والفقر والاضطراب والخوف إلى مصر ، حيث الحضارة ، والأمن ، والاستقرار ، وسعة الرزق ، ذلك ما عبر عنه يوسف عليه السلام بقوله : ﴿ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ ﴾ ، والأمن : حالة اطمئنان النفس وراحة البال وانتفاء الخوف من كل ما يخاف منه .

قال الشيخ العلامة ابن عاشور في ((تفسيره)): وجملة ﴿ إِن شَاء اللّهُ ﴾ تأدب مع اللّه ، كالاحتراس في الدعاء الوارد بصيغة الأمر ، وهو لمجرد التيمن ، فوقوعه في الوعد والعزم والدعاء بمنزلة وقوع التسمية في أول الكلام وليس هو من الاستثناء الوارد النهي عنه في الحديث أن لا يقال : اغفر لي إن شئت ، فإنه لا مكره له ؛ لأن ذلك في الدعاء المخاطب به صراحة . اهـ .

وكان الدخول السابق دخول على يوسف عليه السلام في الفسطاط الذي ضربه على مشارف مصر ، أو في قصور الاستقبال المعدة لاستقبال كبار الضيوف .

أما الدخول الذي أمر به يوسف عليه السلام فهو دعوة للإقامة الدائمة بمصر ، قال تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

في هذه الآية الكريمة مسائل :

الأولى : في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا ﴾ :

١- يرى بعض المفسرين - وهو الأولى بالسياق ، واللّه أعلم - أن العبارة بها تقديم وتأخير ، فالسجود كان بمجرد الدخول ، ثم جاء الرفع ، فكان مقتضى ذلك أن يكون السياق وخروا له سجدًا ، ورفع أبويه على العرش ، لكن جاء التقديم والتأخير إكرامًا للأبوين ؛ لأن رفع الأبوين على العرش نوع من التكريم لهما ، فناسب تقديمه .

٢- مع قوله تعالى : ﴿ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا ﴾ :

اختلفت أقوال المفسرين في كيفية السجود ، فمن قائل بأنه سجود كامل ، ومن قائل بأنه الركوع أو الإيماء ، وغير ذلك ، ولا تغنينا كيفيته ، إنما يعنينا ما اتفق المفسرون عليه ، وهو أنه كان سجود تحية ، وليس سجود عبادة .

وأن هذا كان مستساغًا عندهم ، ورفعه اللّه عن الأمة الإسلامية ، وحلَّ محلّه السلام بالقول والمصافحة باليد ، والالتزام للقادم من سفر ، وإذا كان اللّه سنَّ لأمة الإسلام تحيتها فما زالت كثير من

الأمم رغم تظاهرها بالتقدم تئن تحت وطأة الجاهلية في تحيتها لكبرائها ما بين انحناء أو ركوع أو سجود ، فالحمد لله على نعمة الإسلام .

الثانية : مع قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ :

يشير يوسف عليه السلام هنا إلى رؤياه التي رآها وهو صبي صغير وقصها على أبيه ، والمذكورة في أول السورة ، وقد صارت اليوم حقيقة ، فالشمس والقمر هما أبواه ، والكواكب الأحد عشر إخوته ، والجميع خروا له ساجدين سجود تحية على مشارف أرض مصر ، وكانت هذه الرؤية محور القصة من بدايتها إلى نهايتها ، وقد نسب يوسف عليه السلام الفضل لأهله ، فقال : ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ ، فالذي جعلها حقًّا هو الله ، فالفضل له في الأولى والفضل له في الآخرة وفي كل حين .

الثالثة : مع قوله : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ يواصل يوسف عليه السلام حديثه عن فضل الله ورحمته وعنايته وتوفيقه ليوسف ، وبعد أن أشار إلى تأويل الرؤيا التي جعلها الله حقًّا باجتماعهم وتحيتهم له بالسجود أشار هنا إلى فضل الله على يوسف عليه السلام بإخراجه من السجن ، وتمكينه من ملك مصر ، وكان ذلك سببًا مباشرًا في قدومهم جميعًا إلى مصر آمنين . وذكر السجن ، وسكت عن إخراجه من الجُبِّ ، حتى لا يجرح مشاعر إخوته بتذكيرهم بما كان منهم ، وهذا من كمال أدب يوسف عليه السلام في الخطاب ، وكرم خلقه وإحسانه ، أليس هو من المحسنين ؟!

الرابعة : مع قوله : ﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ :

وهذه نعمة أخرى يذكرها يوسف عليه السلام مما امتن الله عليه مجيئهم من البدو إلى الحاضرة ، فقد كانوا يعيشون حياة البدو الرحل في بادية الشام ، فجاء الله بهم إلى مصر ، حيث الحضارة والأمن والاستقرار ، وفي ذلك إشارة إلى منة الله على مصر في ذلك الزمان ، حيث كانت عاصمة الحضارة في المنطقة .

الخامسة : مع قوله : ﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ :

انظر إلى كمال أدب يوسف عليه السلام وإحسانه ، حيث أحال ذنوب إخوته كلها إلى الشيطان تكرمًا منه وتفضلاً ، ولم ينسب إليهم شيئًا ، حتى لا يكون عتابًا بعد صفح وغفران .

السادسة : مع قوله : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾ :

واللطف : هو التدبير الملائم ، وهو يتعدى باللام على تقدير لأجل ﴿ ما يشاء ﴾ اللطف به ، ويتعدى بالباء مثل قوله : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ .

والمقصود أن الله يدبر التدبير الملائم للوصول إلى ما يشاء مما يدق علمه وفهمه على كثير من الناس ، ومن ذلك أحداث هذه القصة ، وتحقيق رؤيا يوسف عليه السلام .

السابعة : مع قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ :

ذلك تعليل لما تقدم من لطف الله وتدبيره ؛ لأنه سبحانه هو العليم الحكيم ، وانظر تطابق هذا القول مع قول أبيه المتقدم في أول القصة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٦] ، ألم تر أنه يخرج من مشكاة واحدة ، ذاك كان في البدء ، وهذا في الختام ، وانظر مرة أخرى إلى توافق البدء مع الختام ، فما أعظم ذلك وما أعجبه .

وللحديث بقية إن شاء الله .

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

بقلم عميد متقاعد / محمود المراكبي

آداب المريد مع شيخه في السلوك الصوفي

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه وعلى عباد الله الصالحين أجمعين ، وعلينا معهم برحمتك يا كريم . وبعد :

فاستكمالاً لحديثنا عن آداب المريد مع شيخه ، والتي قسمها الصوفية إلى آداب ظاهرة ، وأخرى باطنة ، وبيانها كالتالي :

■ **الآداب الظاهرة :**

للشعراني باع طويل في اختراع آداب ينبغي للمريد أن يعمل بها حين يعامل شيخه ، ومنها قوله : (إن طريق الوصول إلى الحقيقة هو السلوك على يد شيخ عارف بميزان كل حركة وسكون ، بشرط أن يسلمه نفسه يتصرف فيها وفي أموالها وعيالها كيف شاء ، مع انشراح قلب المريد لذلك كل الانشراح) .

ثم يحذر من مخالفة الشيخ في كتابه « الميزان الكبرى » (ص ٢٠) قائلاً : (وأما من يقول له شيخه : طلق امرأتك ، أو أسقط حقك من مالك ، أو وظيفتك مثلاً فيتوقف ، فلا يشم من طريق الوصول إلى عين الشريعة المذكورة رائحة ، ولو عَبَدَ الله ألف عام) .

ويكرر ابن عجيبة نفس المفاهيم الصوفية عن آداب المريد مع شيخه في الطريقة الشاذلية فيقول في كتاب « إيقاظ الهمم في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري » (ص ١٣٦) : أما الآداب التي تكون مع الشيخ ، فمرجعها إلى ثمانية أمور : أربعة ظاهرة ، وأربعة باطنة .

■ **أما الآداب الظاهرة فهي :**

١ - امتثال أمره وإن ظهر له خلافه ، واجتناب نهيه وإن كان فيه حتفه ، فخطأ الشيخ أحسن من صواب المريد .

٢- السكون والوقار في الجلوس بين يديه ، فلا يضحك بين يديه ، ولا يرفع صوته عليه ، ولا يتكلم حتى يستدعيه للكلام ، أو يفهم عنه بقرائن الأحوال ، كحال المذاكرة بخفض صوت ورفق ولين ، ولا يأكل معه ولا بين يديه ، ولا ينام معه أو قريبًا منه ، ثم يستشهد بشيخ له يقول : ولا ينام في فراشه ، ولا يجلس في موضع جلوسه ، ولا يتكلم في مجلس الشيخ ولو كلمة واحدة ، والكلام فيه سوء الأدب أكثر من كل شيء ، كل ما يشبه هذه الأوصاف يؤدي لعدم التعظيم والازدراء بجانب الشيخ ، وذلك هو الخسران المبين ، والعياذ باللّه من السلب بعد العطاء ، والطرد بعد الإقبال .

٣- المبادرة إلى خدمته بقدر الإمكان بنفسه أو بماله أو بقوله ، فخدمة الرجال سبب للوصال لمولى الموالي .

٤- دوام حضور مجلسه ، فإن لم يكن فتكرير الوصول إليه ، إذ بقدر تكرير الوصول إليه يقرب الوصول ، فمدد الشيخ جار كالساقية ، فإذا غفل عن الساقية تخرم وانقطع الماء .

■ **الآداب الباطنة :**

أما الآداب الباطنة فهي :

١- اعتقاد كماله ، وأنه أهل للشيوخة والتربية ، لجمعه بين شريعة وحقيقة ، وبين جذب وسلوك ، وأنه على قدم المساواة بالنبي ﷺ .

٢- تعظيمه ، وحفظ حرمته غائبًا وحاضرًا ، وتربية محبته في قلبه ، وهو دليل صدقه ، وبقدر التصديق يكون التحقيق .

وانعزاله عن عقله ورياسته وعلمه وعمله إلا ما يرد عليه من قِبَل شيخه ، كما فعل الشاذلي عند ملاقاته بشيخه ، فهي سنة في طريقته ، فكل من أتى شيخه في هذه الطريقة الشاذلية فلا بد أن يغتسل من علمه وعمله قبل أن يصل إلى شيخه ، لينال الشراب الصافي من بحر مدده الوافي .

٣- عند الانتقال عنه - أي الشيخ - إلى غيره ، وهذا عندهم من أقبح كل قبيح ، وأشنع كل شنيع ، وهو سبب تسويس بذور الإرادة ، فتفسد شجرة الإرادة لفساد أصلها ، وهذا كله مع شيوخ التربية كما تقدم ، وأما شيوخ أهل الظاهر فلا بأس أن ينتقل عنهم إلى أهل الباطن إن وجدهم ، ولا يحتاج إلى إذن ، واللّه أعلم .

ويروي الشعراني في « الأنوار القدسية في معرفة قواعد وآداب الصوفية » (٢: ١٢) قائلاً : سمعت علي المرصفي يقول : « يجب على المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شرع من ربه وبينة من أمره ، ولا يزن أحواله بميزان عقله هو ، فقد يأتي الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن ، كما وقع للخضر مع موسى عليهما السلام » .

ويقول في موضع آخر : (يجب على المريد أن يرى الخلق كالأطفال في حجر الشيخ ، يربيهم ويفعل معهم ما هو أصلح لهم ، فمثل هذا الاعتراض عليه كالاعتراض على الخضر عليه السلام فيما فعله مع موسى عليه الصلاة والسلام ، فإن قول الخضر : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف : ٨٢] ، مثل قول نبينا ﷺ : ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الأنعام : ٥٠] ، فكما أن الخضر هو شيخ الأولياء في علوم الحقيقة بحكم النيابة لرسول اللّه ﷺ ، فعلم أنه لا ينبغي الاعتراض إلا على من يبلغ حد الكمال من المتمشيخين بأنفسهم) .

■ **خطورة آداب الصوفية :**

إن آداب الصوفية التي يطالب المشايخ المريدين باتباعها تتضمن سمومًا قادحة تهلك العقيدة السمحة ، والتوحيد الخالص ، وأخطر ما فيها هو الآتي :

١- الاكتفاء بالشيخ وتعظيمه ، والتحذير من سماع العلم من غيره ، أو حتى زيارة العلماء والصالحين ، وألا يقرأ

كتابًا في العلم إلا بإذن الشيخ ، بل إن أكثر المشايخ يطلب من المريد أن يحرث ما تعلمه من علم قبل أن يلقنه العهد ، وقد حدث هذا مع الشاذلي وشيخه ابن بشيش ، وكذا الشعراني وشيخه الخواص ، وابن المبارك وشيخه الدباغ وغيرهم .

٢- عدم الاعتراض على الشيخ ، ولو أتى فعلاً حرامًا ، أو قولاً مخالفًا للشريعة .

٣- التوقف عن فعل المعروف إذا أمره الشيخ .

٤- تقديس الشيخ ؛ فليس للمريد أن يتكلم أو يأكل أو يضحك في حضرته ، بل لا يجلس في فراشه ، ولا ينظر في وجهه .

٥- استمداد المريد من شيخه وبركته تعم المريد في دنياه وأخراه .

٦- ملازمة ورد الشيخ ، والويل لمن تركه ، فلن يفلح أبدًا .

٧- أن لا يتزوج المريد امرأة رأى الشيخ مائلاً إلى التزوج بها ، ولا امرأة طلقها الشيخ أو مات عنها .

كيف يطلب المشايخ من أتباعهم ما لم يطلبه رسول الله ﷺ من أصحابه ؟ بل إنهم يطلبون منهم ما نهى النبي ﷺ عنه ، حتى إنه ﷺ لعن الرجل الذين يتيمز بين إخوانه .

■ **اكتفاء المريد بشيخه :**

تمثل حقيقة آداب الصوفي مع شيخه - التي عرضناها من قبل - نظامًا متكاملاً يضمن إحكام سيطرة الشيخ على المريد ، فالخطوة الأولى أن يسد الشيخ على المريد أسباب تحصيل العلم ، فغير مسموح للمريد أن يقرأ كتابًا ، أو يلقى شيخًا صالحًا أو يحضر مجلسه ، ولا يسمع من عالم إلا بإذن الشيخ ، ولن يعدم الشيخ أن ينفر المريد من أي خاطر يراوده نحو تحصيل العلم ، بل هم يقولون للمريد : إن العلم حجاب ، وعلم الظاهر قشور ، والعلم الحقيقي الباطني لن يناله المريد إلا بعد أن يُسلم نفسه لشيخه كالميت بين يدي الغاسل ، تطالب التربية الصوفية المريد أن يحرث علمه السابق ، حتى يعد نفسه لتلقي العلم اللدني ، فالمطلوب من المريد أن يستمر على صلته وصحبته لشيخه ، وحضور الحضرات وقراءة الأوراد ، ففي ذلك نجاة المريد وتأهيله ليصبح من أهل الخصوص ، وكثيرًا ما سمعنا في الحضرات أن المريد إذا تلقن الطريق ، وأعطاه شيخه العهد ، فإن ركعتين يصليها المريد تفوق عبادة أربعين سنة من عبادة العامة ، وما اهتم المشايخ بهذه النصوص إلا ليجعلوا المريدين لا يحرصون إلا على حضور الحضرات والالتزام بالأوراد والاكتفاء بهما فقط .

ومن أهم الآداب الصوفية أن يرى المريد كمال شيخه وأن ينزهه عن مقام القطبانية ، وألا يرى شيخًا أعلى قدرًا ومقامًا من أستاذه في الطريق ، ونادرًا ما تجد عارفًا أو صوفيًا تتلمذ على يدي أكثر من شيخ ، وهذا المسلك على النقيض تمامًا من مسلك علماء الأمة النوابغ ، على اختلاف علومهم في القرآن والحديث والفقه ، وغير ذلك من العلوم الأصلية ، وقد بلغ عدد شيوخ أحدهم المئات في بعض الأحيان ، ولا يستطيع المتتبع أن يستقصي عدد من روى عنهم المصنفين للسنن والصحاح وغيرها ، فالبخاري ومسلم وأحمد بن حنبل - على سبيل المثال - تتلمذ كل منهم على الكثير من المشايخ ، بل كانوا يسافرون البلدان ويقطعون الفيافي والصحراء ليعلو أحدهم بإسناد حديث يحفظه بإسناد نازل ، وما حذرهم أحد من كثرة التردد على العلماء .

■ **عقوبة الاعتراض على الشيخ :**

إن القارئ لكتب التصوف ، وخاصة الكرامات وطبقات المشايخ يدرك من أول وهلة أن أبرز أهدافها تحذير المريدين من الاعتراض على المشايخ ، سواء في حياتهم أو بعد

مماتهم ، لذا يقول أبو عبد الرحمن السلمي : من قال لأستاذه : لِمَ ؟ لا يفلح أبدًا[1] .

ولهذا فقد تأصل في وجدان الصوفية مفهوم من اعترض انطرد ، وليس الطرد المقصود هو إخراج المريد من أمام شيخه ، أو حتى من طريقته ، وإنما الأمر أخطر من ذلك بكثير ، فهو في حقيقته قريب من الطرد الكنسي والحرمان من دخول ملكوت المسيح يوم الدينونة عند النصارى ، وهذا يشرحه الشعراني في « طبقاته الكبرى » (١: ١٦٢) بقوله : (إن رجلاً أنكر حضور مولد أحمد البدوي ، فسُلِبَ الإيمان ، فلم تكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام ، فاستغاث بأحمد البدوي فقال - أي البدوي -: بشرط ألا تعود ، فقال : نعم ، فَرَدَّ عليه ثوب الإيمان ، ثم قال له : ماذا تُنكر علينا ؟ قال : اختلاط الرجال والنساء - في الموالد - فقال له أحمد البدوي : ذلك واقع في الطواف ، ولم يمنع أحد منه ، ثم قال له : وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا تاب وحسنت توبته ، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضًا ، أفيعجزني اللّه عز وجل عن حماية من يحضر مولدي) !!

وقد يتعجل قارئ صوفي فيقول : إن هذه الرواية مدسوسة وظاهر بطلانها ، ولم يقلها الشعراني ، والرد على ذلك : أنه إذا كانت الرواية منكرة فلِمَ نقلها عنه كثير من أكابر الصوفية ، ومنهم الشبلنجي في كتابه « نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار » (ص ٢٤٠) ، ونسبها للشعراني في « طبقاته » ، فلو كانت مدسوسة على الشعراني أو البدوي فلِمَ ينقلها المشايخ في كتبهم وينقلونها لكم !!

هذه الكرامة المزعومة ينسج الشعراني وغيره منات من القصص والحكايات على منوالها ، والصوفية تعتبر الأحلام عن البدوي أو غيره تشريع في حد ذاته ، ومن المؤكد أن الأفكار والمفاهيم التي تساق لها مثل هذه الحكايات تخالف أصول الإيمان ، مثل إقامة الموالد ، وسلب الإيمان عمن ينكرها ، ثم الاستغاثة بصاحب الضريح ، ثم الحديث مع الموتى ، واشترط البدوي على الرجل عدم الإنكار ، ثم تكرم البدوي برد الإيمان بعد أن سلبه ، ثم قَسَمٌ غليظ من البدوي صاحب الضريح - يتضمن الإعلان عن ربوبيته للأسماك في البحار والتزامها بأوامره - فكيف لا يضمن تأمين العصاة عنده ، وكيف تضرهم المعصية وهم في معية ضريحه المقدس !! وبالتالي يضمن أن تعقب هذه المعاصي توبة نصوح ، وفي ذلك رخصة كبرى في مجالسة النساء في الموالد ، وتصريح لشاربي الحشيش ، ولاعبي القمار ، وفناني السيرك على سلامة موقفهم ، طالما يشاركون في الموالد ويساهمون في إحيائها .

ويحكي يوسف إسماعيل النبهاني صاحب كتاب « جامع كرامات الأولياء » (١: ٥١٢) أن رجلاً يدعي ابن اللبان اعترض يومًا على أحمد البدوي ، فسُلب القرآن والعلم والإيمان ، فلم يزل يستغيث بالأولياء ، فلم يقدر أحد أن يدخل في أمره ، فدلوه على (الشيخ) ياقوت العرش ، فمضى إلى ضريح أحمد البدوي وكلمه في قبره ، وأجابه قائلاً : أنت أبو الفتيان ، رد على هذا المسكين رأس ماله ، فقال : بشرط التوبة ، فتاب ورد عليه رأس ماله ، وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان في ياقوت العرش .

ولما اعترض ابن دقيق العيد على ترك أحمد البدوي للصلاة وقال له : إنك لا تصلي ، وما هذا من سنن الصالحين ، فقال البدوي : اسكت ، وإلا أغبر

---

(١) نقلاً عن « العهد الوثيق لمن أراد أحسن طريق » للسبكي (ص ٦٩) ، ويعرف الأستاذ أبو سهل الصعلوكي التصوف بقوله : (التصوف الإعراض عن الاعتراض) . نقلاً عن كتاب « فرق معاصرة » إعداد غالب بن علي عواجي (٥٩٦) .

دقيقك ، ودفعه ، فإذا هو بجزيرة متسعة جدًا ، فضاق ذرعًا ، حتى كاد أن يهلك ، فرأى الخضر عليه السلام فقال : لا بأس عليك ، إن مثل البدوي لا يُعترض عليه ، لكن اذهب إلى هذه القبة وقف ببابها ، فإنه سيأتك العصر ليصلي بالناس ، فتعلق بأذياله لعله يعفو ، ففعل فدفعه ، فإذا هو بباب بيته[1] .

والمعنى المقصود من ذكر هذه الكرامة أن الناس تظلم المشايخ والأقطاب الذين لا يصلون ، بينما هم في الحقيقة يصلون في الجزر المتسعة أو تحت الأرض أو عند العرش ، والويل كل الويل لمن يعترض على ترك مشايخ الصوفية للفرائض ، فلقد أعذر من أنذر .

ويروي الشعراني في « الطبقات » (٢ : ٨٨) : أن عليًا المرصفي قال : يجب على المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شرع من ربه ، وبينة من أمره ، ولا يزن أحواله بميزان عقله هو . فقد يأتي من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر ، وهي محمودة في الباطن ، كما وقع للخضر مع موسى ، عليهما السلام . اهـ .

(١) « جامع كرامات الأولياء » ليوسف النبهاني (١ : ٥١٢) ، وأوردها الشبلنجي في « نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار » (ص ٢٣٩) .

وكثير من مشايخ الطرق الصوفية يستفتح كتاب الأوراد بالتحذير من الاعتراض على المشايخ ، ومنها « مجموع رواتب الميرغني » (ص٩) ، حيث نظم شيخ الطريقة الختمية المرغنية في أول ورده ما يلي :

لا تعترض واعتقد تكتب مع الأحباء
ولا تكن مُنكرًا يُغلق عليك الباب
الأولياء في الورى أخفاهم الوهاب
كليلة القدر أخفاها على الطلاب

ثم يستشهد الشيخ بشعر لابن عربي يقول فيه :

نحن حزب الله من يغلبنا
جَدُّنا جد وجَدُّ هزلنا

ويعرفنا الشبلي علامة صدق المريد فيقول : (من علامة صدق المريد اعتقاده أن شيخه جاسوس على قلبه ، يدخل في قلبه ، يعلم ما عنده ، ويخرج من حيث لا يحتسب) . « العهد الوثيق » للسبكي (٦٨) .

فمن يدخل قلب مريده وجب مراقبته ، وعدم الاعتراض عليه ، بل والخوف منه ، فقد ورد عن حمدون القصار أنه قال : (من علامة صدق المريد إذا دخل على شيخه كأنه داخل على سلطان جائر يخاف سطوته) . « العهد الوثيق » للسبكي (٥٧) .

بل إن مخالفة الشيخ في أبسط الأمور قد تؤدي إلى أوخم العواقب ، فقد قال شقيق البلخي لمريد صائم يومًا : أفطر معنا اليوم ولك أجر يوم ، فقال : لا ، فقال الشيخ : لك أجر جمعة ، فقال المريد : لا ، فقال الشيخ : لك أجر شهر ، فقال المريد : لا ، فقال الشيخ : لك أجر سنة ، فقال المريد : لا ، قال الشيخ : دعوه ، فقد سقط من رعاية الله تعالى ، فخرج المريد من عندهم فسرق فقطعت يده . « العهد الوثيق » للسبكي ، (٧١) .

إن المريد إذا أذعن لشيخه وسلم له قياده ، وتأدب بآداب الصوفية التي وضعوها وصاغوا قوالبها بمعرفتهم ، وأصبح بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل لا إرادة له ولا حراك ، تراه وقد تعطل عقله ، وتحجر فهمه ، تجده ينهل من الأحاديث الموضوعة ، ويستغرب صحيح السنة المطهرة ، ويأولها ليخرج مضمونها عن مراده ، والأمثلة على ذلك كثيرة لا يتسع موضوعنا لذكرها .

والخلاصة أن المريد يحول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى اعتراض على أحوال الناس ، والطامة الكبرى لو كان هؤلاء الناس من أرباب الطرق !! وللحديث بقية .

والله ولي التوفيق .

حوار مع ميت !!

بقلم :

أيمن بن محمد الصبحي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد :

في سبق صحفي لم يسبق له مثيل تقدمنا بهذه الأسئلة للشيخ إبراهيم الدسوقي ليجيب عنها :

■ س : الشيخ إبراهيم .. نهى رسول الله ﷺ عن بناء القبور داخل المساجد ، وقال ﷺ : هؤلاء شرار الخلق عند الله ؟

□ ج :

■ س : الشيخ إبراهيم .. الطواف عبادة جعلها الله عز وجل مقتصرة على مكان واحد فقط هو البيت الحرام ، ولكن هناك جهال يطوفون حول قبرك ؟

□ ج :

■ س : الشيخ إبراهيم .. نهى رسول الله ﷺ عن شد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، والمسجد النبوي ، ولكن هناك من الجهال من شد الرحال إلى قبرك ؟

□ ج :

■ س : الشيخ إبراهيم .. نهى الرسول ﷺ عن الاختلاط بين الرجال والنساء ، وفي المولد يحدث الاختلاط المحرم في الشوارع وفي الخيام وفي المساجد وفي دورات المياه ؟!

□ ج :

■ س : الشيخ إبراهيم ... حرم الله عز وجل القمار ، وفي مولدك تنصب موائد القمار ؟

□ ج :

■ س : الشيخ إبراهيم ... حرم الله عز وجل السحر ، وفي مولدك تنصب السروك ، وفيها فقرات السحر ؟

□ ج :

■ س : الشيخ إبراهيم ... حرم الله عز وجل التبرج والعري ، وفي مولدك تقام الحفلات الراقصة ، وتصعد الراقصات الساقطات على شرفات المسارح ليرى الناس أجسادهن ؟

□ ج :

■ س : الشيخ إبراهيم ... حرم الله عز وجل الدعاء لغير الله والنذر لغير الله والذبح لغير الله والخوف من غير الله ، وعد كل هذا من الشرك الذي هو أكبر الكبائر ، وفي مولدك يُفعل كل هذا وأكثر ؟

□ ج :

■ س : الشيخ إبراهيم ... يدخن الزوار في مولدك الشيشة والحشيش ويجلسون في الخيام وقت الصلاة يتطوحون ويتمايلون ويرقصون ؟

□ ج :

■ س : الشيخ إبراهيم ... أعياد المسلمين هي عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، كما أخبرنا الصادق المصدوق ، فمن أين أتى هؤلاء الجهال بهذا العيد الجديد الذي هو عيد الشيطان ليحتفلوا بكل ما هو حرام ومخالف لشرع الله وموافق لشرع الشيطان ، وإذا كان هذا الفعل صحيحًا فأين مولد سيدنا أبي بكر ؟ وأين مولد سيدنا عمر بن الخطاب ؟ وأين مولد عثمان ؟ وأين مولد عمر بن عبد العزيز ؟ وأين مولد الإمام البخاري ؟ والإمام الشافعي ؟ وأين مولد أحمد بن حنبل وابن تيمية ؟!

□ ج :

سألنا الشيخ إبراهيم هذه الأسئلة ، ولكنه لم يجب عنها ، ليس لأن ظروفه الصحية متعثرة ، ولكن لأن الشيخ قد مات ، وصار بغير حول ولا قوة ولا نفع ولا ضرر ولا قدرة على قول أو فعل !!

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

الحمد لله ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وبعد :

فإن تصحيح المفاهيم عند المسلم من الأهمية بمكان ، حيث يترتب على صحة المفاهيم صحة الاعتقاد وصحة العمل ، ومن المفاهيم التي ينبغي أن تكون واضحة في أذهان الجميع مفهوم النصر والتمكين وعدم الخلط بين انتصار الدعوة وانتصار الداعية وظهور الدعوة واستعلائها فقط ، ومن ثم إن لم يتحقق هذا يظن أنه أخطأ في الطريق فيعيد حساباته ويبدأ في طريق آخر ، حتى إذا سلك كل الطرق عاد وهو يرفع شعار العُزلة ، إذ لا أمل في المدعوين ، ولا رجاء في استجابتهم ، ويعود قائلاً لنفسه : عليك نجاة نفسك ، ودعك من العوام ، ولا يضرك من ضل إذا اهتديت ، ويغلق بابه ، ويدخل صومعته ، ويترك الميدان .

ولخطورة مفهوم النصر في الكتاب والسنة نتناول في هذه المقالة المفاهيم المختلفة للنصر في الكتاب والسنة ، وأسباب تأخير النصر :

مفهوم النصر في الكتاب والسنة : من المعلوم يقينًا أن الله عز وجل لا يخلف وعده ، فإذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] ، فلا شك أن ذلك محقق لا محالة ، لذلك كان حقًا علينا أن نعرف معنى النصر وحقيقته ، إذ إن هناك من أنبياء الله عز وجل من قُتل ، ومنهم من أُلقي في النار ، ومنهم من دخل السجن ، ومن عباد الله المؤمنين من أُلقي في الأخدود ، ومنهم من استشهد ، فأين نصر الله لهؤلاء جميعًا في الحياة الدنيا وقد قُتلوا وعُذبوا وأُوذوا وطُردوا ؟

إن للنصر مفاهيم متعددة وصور متنوعة ، منها :

١ - أن يكون بالغلبة والقهر للأعداء ، وهو أول ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة النصر ، ومن ذلك انتصار موسى عليه السلام على فرعون وقومه ، يقول سبحانه : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] ، وقال سبحانه : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٧] ، وهذا النوع من النصر محبب للنفوس ، يقول سبحانه : ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف : ١٣] .

٢ - أن يتحقق النصر بإهلاك

بقلم الشيخ :

أسامة علي سليمان

إدارة شئون القرآن الكريم

المكذبين ونجاة الأنبياء والرسل وأتباعهم ، ومن ذلك نجاة نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين ، وإهلاك قومه المكذبين والمغرضين ، يقول سبحانه : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

ويقول سبحانه : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . ويقول سبحانه : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ❁ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ ❁ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ❁ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ❁ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١١- ١٣].

ومن ذلك أيضًا قوم ثمود وقوم صالح أهلكهم اللّه ، يقول سبحانه : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ❁ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ❁ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ❁ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٥- ٨].

٣- أن يتحقق النصر بانتقام اللّه من أعداء الرسل والمؤمنين بعد ، كما حدث مع قتلة يحيى عليه السلام ، حيث سلط اللّه عليهم بختنصر ، فأذاقهم سوء العذاب، وجاس خلال ديارهم ، ودمرها ، يقول سبحانه : ﴿ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ [الإسراء: ٥].

٤- إن ما يتصوره البعض هزيمة قد يكون نصرًا عند اللّه عز وجل ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] ، ومن ذلك قتل الداعية يعده البعض هزيمة ، ولكنه نصر من جوانب عديدة ، منها :

١- أنه شهادة في سبيل اللّه عز وجل ، وهي من أفضل أنواع النصر .

٢- انتصار منهج الداعية بعد استشهاده ، كما حدث لغلام قصة أصحاب الأخدود ، مات شهيدًا ، ولكن تحقق النصر لمنهجه بعد استشهاده ، فقال قومه : آمنا برب الغلام ، وكم من عالم مجاهد قُتل شهيدًا وانتصر منهجه بعد استشهاده ، وكُتب لمنهجه الذيوع والانتشار والعلو ، وصدق القائل : (إن كلماتنا وأقوالنا تظل جثثًا هامدة ، حتى إذا متنا في سبيل اللَّه غذيناها بالدماء ، فعاشت وانتفضت بين الأحياء) .

٣- الذكر الحسن بعد الموت ، وصدق اللَّه إذ يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ۞ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧- ٧٩] ، ومن ذلك أيضًا أن الطرد والإخراج قد يكون نصرًا ، والناس تحسبه هزيمة ، يقول سبحانه : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

فإخراج النبي ﷺ من مكة كان نصرًا بنص الآيات ، وذلك من وجوه منها ؛ نجاته من المشركين وانتقال الدعوة إلى المدينة ، وقيام الدولة الإسلامية بها ، ولذلك لما سُجن شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه اللَّه ، وَضح ذلك المعنى لأعدائه قائلاً : ماذا يصنع أعدائي بي ، إن جنتي وبستاني في صدري ، إن قتلي شهادة ، ونفيي سياحة ، وسجني خلوة .

٥- إن من معاني الانتصار الثبات ، حتى الممات على العقيدة وعلى المنهج ، وقد لا يتحقق النصر الظاهر إلا بعد تحقق ذلك المعنى للانتصار ، فإبراهيم عليه السلام كان في قمة النصر عندما ألقوه في النار ، وصدق اللَّه إذ يقول : ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات : ٩٨] .

والإمام أحمد بن حنبل ، رحمه اللَّه ، بعد المحنة التي تعرض لها وثباته على الحق كان في أعلى درجات الانتصار .

٦- إن من معاني الانتصار ظهور الحجة وقوة البرهان ، وصدق اللَّه إذ يقول : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

٧- قد يكون النصر بمنع الأعداء من الوصول للنيل من النبي أو الداعية ، وصدق اللَّه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤ ، ٩٥] ، وصدق اللَّه إذ يقول : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧١- ١٧٣] ، واللَّه سبحانه وحده أعلم بما يصلح عباده ، فيختار لهم ما يصلحهم ، فقد يكون البلاء عطاء ، وقد تكون النقمة نعمة ، أما في سنة النبي ﷺ فقد جاءت أحاديث كثيرة توضح مفهوم النصر ؛ منها قوله ﷺ « عُرضت عليَّ الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الخمسة ، والنبي ومعه الرجلان ، والنبي ومعه الرجل ، والنبي وليس معه أحد .. » .

إن هذا الحديث الشريف يوضح لنا أن النصر ليس معناه كثرة الأتباع ، فهناك أنبياء يأتون يوم القيامة ومعهم الرجلان والرجل ، فكيف تحقق لهم النصر رغم قلة عدد الأتباع ؛ لأن اللَّه قال : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ .

فأين النصر مع قلة الأتباع ، لا بد أن للنصر مفهومًا آخر

غير ما نفهم ، إنه الثبات على المنهج - إنه الثبات في الدعوة - إنه البلاغ المبين : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] ، إنه انتصار المنهج الحق ، إنه تحمل الإيذاء والعذاب ، أما النصر الظاهر فهو لا شك يأتي بعد ذلك كله .

وقد يأتي في حياة الداعية أو بعد موته ، فانتصار الدين شيء ، وانتصار الداعية شيء آخر ، فانتبه - يرحمك الله - فليس النصر مقصورًا على النصر الظاهر فقط ، فضلاً عن أنه قد لا يتحقق في حياة الداعية ، ومن ذلك أن النبي ﷺ أخبرنا في الحديث الذي يرويه عن رب العزة سبحانه : « من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ... » . ومعنى ذلك أن المعركة بين الحق والباطل ، معركة بين أتباع الشيطان ، وبين الجبار القهار سبحانه وتعالى ؛ لأنه عز وجل توعد من عادى وليه بالحرب ، فهل هناك من يطيق حرب الله سبحانه وتعالى ، فضلاً عن النتيجة الحتمية ، وهي نصره سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فضلاً عن أن الصبر هو مفتاح النصر ، سواء تحقق ذلك في حياة العابد أو بعد مماته ، فياسر وعمار وسمية وبلال وخباب ألم يكن صبرهم هو طريق النصر ، أليس صبرهم كان اللبنات الأولى لعزة الإسلام وظهوره .

وقد يتأخر النصر لأسباب كثيرة منها :

١- تأخر أسبابه لعدم الإعداد الذي أمرنا الله به في قوله : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

٢- وجود مانع من موانع النصر كالظلم أو الركون للكفار أو المعاصي ، ففي أحد بمعصية واحدة من الرماة كانت الهزيمة ، وفي حنين أعجبتهم كثرتهم وقالوا : لن نغلب اليوم من قلة وكلهم إلى كثرتهم .

٣- الانحراف عن المنهج « منهج أهل السنة والجماعة » .

من ذلك التساهل في قضية العقيدة وتمييع مفهوم الولاء والبراء وتأصيل الحزبية وتضييع السنن .

وصدق من قال :

شعب بغير عقيدة ورق يذريه الرياح
من خان حي على الصلاة يخون حي على الكفاح

٤- عدم نضوج الأمة وبناء الرجال الذين يحملون المسئولية ؛ لأن صنع الرجال يحتاج إلى زمن .

٥- عدم إدراك قيمة النصر ؛ لأن النصر إذا جاء دون مشقة ولا تربية ، يعني عدم معرفة قيمة النصر وعدم المحافظة عليه .

٦- وقد يكون من أسباب تأخير النصر عدم انكشاف زيف الباطل ووجود أتباع له مخدوعون به لو انكشف لهم لتبرءوا منه .

٧- وقد تكون البيئة غير صالحة لاستقبال الحق والخير .

٨- تأخير النصر فيه ابتلاء وتمحيص للدعاة ، وفيه عبر ودروس كثيرة لغيرهم من بعدهم .

ربنا إنا نسألك نصرًا لدينك ولعبادك المستضعفين ، ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، إنك على كل شيء قدير ، ونعم المولى ونعم النصير ، وأنت حسبنا ونعم الوكيل .

والله من وراء القصد .

بعث أمة الإسلام

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

ما جاء الإسلام إلى الأرض إلا بعد أن أسِنت الحياة وفسدت ، وقد انسدلت ستائر الظلام على الكون بأسره ، وأضحت كل فجاج الحياة في ظلمة ظلماء وضلالة عمياء ، وشقوة وشقاء ، وأمست الإنسانية تضرب في تيه العماء ، وعمّت الجاهلية جميع مناحي الحياة ، ولفّت الإنسانية من كل جانب ؛ في الفكر والتصور ، في السلوك والعمل ، في العقيدة والعبادة ، وعمّ الشرك أرجاء الأرض ، وعُبدت الأصنام والأوثان والكواكب والنجوم والبشر والحيوانات وهوام الأرض بعد أن أوبق الشيطان رأي الإنسان وفكره ، وباض الشيطان وأفرخ ، وقاد مسيرة الفساد والشر ، واستشرى الفساد ، وتغلغل في نفوس البشر ، وجرى في عروقهم مجرى الدم ، وعانت البشرية من المسخ الرهيب للفضائل والقيم ، وفساد الفِطر[1] .

وتخبط العالم أجمع في دياجير الظلام والجهل والوثنية والضلالة ، وظلمات الطغيان والقهر والاستبداد ، ولم تخل من ذلك - وقتذاك - أمة من الأمم ؛ الرومان ، واليونان ، والهند ، والصين ، واليابان ، والعرب ، ومصر ، وجميع الشعوب الإفريقية إلى غيرها ؛ فجعل اليونانيون إلهًا للمطر، وآخر للحرب ، وأخرى للحب .. وهكذا ، وفي الهند عبدوا الجبال والأنهار والأبطال وآلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل والحيوانات والأجرام الفلكية .. وغير ذلك . وقد بلغ عدد الآلهة في الهند وحدها في القرن السادس الميلادي (٣٣٠) مليون إله !!

---

(١) قد فطر الله الإنسان على معرفة ربّه وتوحيده والتزام طاعته وعبادته ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، وما خلق الإنسان إلا من أجل عبادة ربّه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦].

وكان لكل قبيلة من العرب صنم ، وكل ناحية أو مدينة صنم خاص ، وكان في جوف الكعبة وفنائها ثلاثمائة وستون صنمًا ، وصار الشرك وعبادة الأوثان أكبر مظهر من مظاهر دين أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم عليه السلام ، بالرغم من عبادتهم للأصنام ، بل بلغ بهم السفه إلى تلك الحالة التي يصفها لنا أبو رجاء العطاردي ، فيقول : (كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجرًا هو خيرٌ منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاه فحلبنا عليه ثم طفنا به) . رواه البخاري .

وما ورثت الجاهلية أصحابها إلا الشقاء والحيرة ، بعد أن نزعت منها الإيمان وزرعت فيهم الكفر والشرك ، وسقته بماء آسن وملح أجاج ، فأنبتت ثمار الحنظل التي رعتْ فيها الشهواتُ والغرائز ، وجعلت من أصحابها حيوانات منطلقة لا تلوي على شيء بعد أن أصيبت بالسعار ، أصنام تُعبد ، وأوثان تمجد ، ودماء تسفك ، ومظالم تُرتكب ، وأموال تُغتصب ، انتهاك للحرمات ، ووأد للبنات ، استبداد الخاصة بالعامة ، وفتك القوي بالضعيف :

مُسيطرُ الفرس يبغي في رعيته
وقيصر الروم من كِبْرٍ أصم عمى
والأرض مملوءة جورًا مُسخَّرةٌ
لكل طاغيةٍ في الخلق محتكم

من أجل ذلك مقت الله سبحانه أهل الأرض بعد أن عمّ الفساد أرجاء العالم بما كسبت أيدي الناس من جرائم وذنوب ، كما قال النبي ﷺ « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب » . [رواه مسلم : (٢١٩٧/٤)] .

ولذا تطلعت الدنيا لبزوغ فجر جديد يعيد للإنسان إنسانيته وآدميته ، ويضع حدًّا لهذا الهوان الذي انحدر إليه الإنسان ، بعد أن أسلس قياده للشياطين تتلاعب به ، وانطمس فيه نور الفطرة تحت أوزار الشرك وعفن المذاهب الأرضية ونتن البيئات الساقطة، وبعد أن عانت الإنسانية المعذبة من القهر والاستعباد ، وأحست بالتمزق والضياع ، واستشعرت باليأس والمذلة والشقاء ، وغرق الناس في دوامة الفجور والرذيلة والانحلال ، يترنمون على قيثارة الثأر والحروب ، وزين الشيطان للناس سوء عملهم ، ولبَّس عليهم الحق بالباطل ، وأضلهم عن السبيل .

ولما أذن الله سبحانه وتعالى انبجس من قلب الصحراء العربية ينبوعًا يكفي لِريِّ العالم الصدى كلِّه ، كما ينبجس الماء الصافي العذب الزلال من قلب الصخر ليملأ الدنيا من حوله خصبًا ونماء ، وبعث الحياة في هذا الموات ، ونضر وجه الحياة ، وملأ جوها بالعطر ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، وأضاء معالم الوجود ، ورفع رءوس البشر المنكسة إلى السماء ، وأطاح بالاستبداد والاستعباد لغير الله ، وطوى بساط الجور والظلم والفساد والطغيان .

فانبعث النور من مكة هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، ليهدي الله به بعد طول ضلال ، ويظهر الحق بعد طول اختلاف ، فأرسل الله نبيه بالرسالة الخاتمة إلى البشر كافة ، وأنزل عليه القرآن هداية للعالمين ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فبدد - في أقصر فترة من عمر الزمن - جحافل الظلام من حول هؤلاء الحفاة الجفاة ، وأزاح عنهم تراب الغفلة والجهل ، وأنقذهم من براثن الضلال والجهالة والهمجية والوحشية ، ونسف الخرافة والكهانة ، وقضى على المفاسد والشرور ، وأخذ بأيديهم من الظلام والتخبط والتيه ، فانقشعت سُحب الجهل المتراكمة ، وانزاح عن الفطرة ركام القرون البالية ومخلفاتها العفنة ، وطهرت القلوب من الكفر والشرك والنفاق ، والنفوس من الغرور والفسوق

والعصيان ، واستل الرذائل من قلوب أتباعه ، فأضاءت بنور الله ، وأضاءت فجاج الدنيا من حولهم ، بعد أن عادت للإنسان إنسانيته ، وبُعثت من رمسها ، وسُقيت من رحيق الله السلسل ، فاهتزت وربت ، وأنبتت ، وصبّ النبي ﷺ أصحابه وصهرهم في قالب جديد كأنما خُلقوا من جديد ، بعد أن خرج بهم في آفاق النور والهداية ، فصاغهم بالقرآن صياغة فريدة ، ما رأت البشرية من قبل مثيلاً لها ، فأخرج من هؤلاء الحفاة الجفاة حضارة عالمية راقية ناهضة ، تبعث النور والعرفان في أرجاء المعمورة ، فيها أرقى الحواضر وأجمل المدن ، رقيًّا وتقدمًا ، وحضارة لا شبيه لها على مرّ العصور ، فنفث فيهم النبي ﷺ قوة محركة دافعة ، فانطلقوا لتحرير شعوب الأرض ، وتطهير الوجود ، وبناء الحياة من جديد على هدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فقد قال ربْعي بن عامر لرستم قائد الفرس : (الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنخرج من شاء مِن عبادةِ العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قَبِل منا ذلك قَبِلنا ذلك منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومَن أبى ، قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله ، قال رستم : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظَفَر لمن بقي) . [رواه الطبري في تاريخه (٣/٥٢٠) ، وانظر « البداية والنهاية » لابن كثير : (٣٩/٧)][١] .

وقد أخبرت أم سلمة ، رضي الله عنها ، أن النجاشي سأل أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا إلى الحبشة ، فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : (أيها الملك ، كنا قومًا أهل جاهلية ، نعبدُ الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونُسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنّا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحُسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام) . قالت - أي أم سلمة - فعدّد عليه أمور الإسلام ، (فصدقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئًا ، وحرّمنا ما حَرَّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث) . [رواه أحمد (١/٢٠١- ٢٠٣، ٥/٢٩٠- ٢٩٣) ، والطيالسي كما في « منحة المعبود » (٢/٨٩، ٩٠) ، وابن هشام في « السيرة » (١/٤١٣- ٤١٨) ، وغيرهم ، وانظر « مجمع الزوائد » (٦/٢٤)] .

فانظر كيف أبان جعفر ، رضي الله عنه - بأوجز وأبلغ عبارة - ما كانوا عليه في الجاهلية من وثنية وضلال ، وما جاءهم به الإسلام من توحيد وقيم وفضائل ؟! وانظر كيف أظهر ربعي

(١) انظر حوار النعمان بن مقرن مع يزدجرد ملك فارس في تاريخ الطبري (٣/٤٩٨، ٤٩٩) ، والمغيرة بن زُرارة الأسدي مع يزدجرد أيضًا (٣/٤٤٩ ، ٥٠٠) ، وزهرة مع رستم (٣/٥١٧، ٥١٨) .

المهمة الموكلة إلى أهل الإسلام من اللـه سبحانه وتعالى بإخراج الناس كافة من الظلمات إلى النور ، من الوثنيـة إلـى التوحيد ، من الظلـم إلـى العدل ، حتـى يفضوا إلـى موعـود اللـه الصـادق الـذي لا يتخلف ؟! فالإسلام هو المنهج الوحيد الذي يتحرر فيه البشر من عبودية البشر .

وانظر كيف جعل النبي ﷺ مـن رعـاة الإبـل والغنم سادة للأمـم وساسـة وقـادة ، يقودونهم إلـى الحق وصراط مستقيم ، ومن عُباد الحجر إلى عُبَّاد للّـه وزُهَاد وفقهاء وعلماء ومحدِّثيـن وحكمـاء ، ومـن الغبراء الصعاليك الذين استعبدتهم الأهـواء والشهوات والغرائز وعبّوا منها عبًّا معلّمين للدنيـا الفضـائل ومحاسـن الأخـلاق والحكمـة وفصـل الخطاب ، وتكونت منهم باقة مزهرة عطرة ، لكل زهرة منها عطر ، ولكل وردة سحر ، ولكلٌ منها رونق جذاب .

أتطلبون من المختار معجزةً

يكفيه شعبٌ من الأجداث أحياه

إنهـا معجزات بشـرية وقـف التـاريخ مبهـورًا يُنصت لهم ويُسجل مآثرهم وأمجادهم ، واستجابت الدنيا لتوجيهـاتهم وتوجهـاتهم ، فقادوهـا بمنهـج القرآني ، وازدهرت بهم الحضارة القرآنية ، وآتت أكلها بإذن ربها .

وقد بـذل هـؤلاء الصحب الكرام كل مرتخـص وغـال ، وخـاضوا معـارك ضاريـة ، وتحملـوا مـن المشـاق والمتـاعب وصنـوف التعذيب والآلام مـا لا قِبلَ لبشر بـه ، فتحملـوا كل ذلـك بصـبرٍ وجلـد ، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والبـذل والعطـاء ، وبذلوا جهودًا جبارة مباركة في سبيل مـا آمنـوا بـه ليصبح المنهج القرآنـي الفريـد واقعـًا ملموسـًا في حياة البشر .

ولا وجه للمقارنة بينهم وبين مـن سبقهم مـن أصحـاب الرسـالات السـابقة والكتـب السـماوية الأخـرى ، ولا بيـن دعوتهـم ورسـالتهم ودعـوات ورسالات مَن سبقهم ، فقد كانت كل رسـالة سـابقة عليهم لفئة من البشر فـي بقعـة معينـة من الأرض لمدة محدودة من الزمن ، أما هم فقد كان عليهم أن يبلِّغوا دعوة نبيهم إلى كافـة أرجـاء المعمـورة جيـلًا بعد جيل إلى قيام الساعة ، وذلـك لأن دعـوة نبيهم هي الدعوة الخالدة الشاملة الخاتمـة للعالم أجمـع ، فقد قـال رسـول اللّـه ﷺ : ((.. وكـان النبـي يُبعث إلـى قومـه خاصـةً ، وبُعثتُ إلـى النـاس عامـةً)) . [رواه البخاري (ح٣٣٥) ، ومواضع] .

فما أحوج البشرية اليوم - بعد أن ترديت قيمهـا وانتكست فضائلها - إلى بعث إسلامي جديد بعودةٍ إلى المنهج القرآنـي الـذي أنقذ البشـرية بـالأمس ، وهو القادر - بإذن اللّه - على انتشـالها مـن هـوة وحمأة ما هوت إليه .

وما أحوج أهل الإسلام خاصة - في هذه الحقبة الكئيبة من تاريخها - إلـى عودٍ حميد إلـى السـبب الوحيد لعزها ومجدها على مرّ التاريخ ، إلى القرآن والسنة من جديد : (فلا يصلح آخر هـذه الأمـة إلا بما صلح به أولها) . كما قال الإمام مالك ، رحمـه اللّه .

وقال رسول اللّه ﷺ : ((تركت فيكم أمريـن لـن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب اللّه وسنة نبيـه)) . [رواه مـالك ص (٨٨٩) ، وانظـر ((الصحيحـة)) (٣٦١/٣) ، و((المشكاة)) (١٨٦)] .

فإلى الإسلام يا عباد اللّه ، فإما شريعة اللّـه ، وإما أهواء الذين لا يعلمون ، وإما هدي اللّه ، وإما غواية الشيطان ، ولا ثالث لهما .

و(أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كـل شـيء مـا خـلا اللّـه بـاطل) . [رواه البخاري (٥٣/٥)] .

رُفعت الأقلام ، وجفت الصحف .

من روائع الماضي

عبـرة الهجـرة

كتبه الشيخ / أبو الوفاء محمد درويش

(رحمه الله)

ما كان رسول الله ﷺ بدعًا من الرسل في هجرته من مكة إلى يثرب ؛ فقد هاجر من قبله الأنبياء ، هاجر إبراهيم أبو الأنبياء إلى الأرض التي بارك الله فيها ، وهاجر لوط عليه السلام من القرية الظالم أهلها حين أراد الله أن يجعل عاليها سافلها ويرسل عليها حجارة من سجيل ، وهاجر يونس عليه السلام لما رأى إصرار قومه على الباطل وتماديهم في المنكر ، وهاجر موسى عليه السلام من مصر مع بني إسرائيل ، حين أراد الله أن يأخذ فرعون وقومه نكال الآخرة والأولى ، وهاجر يعقوب والأسباط إلى مصر يوم جعل الله يوسف عليه السلام على خزائن الأرض يلتمسون وطنًا صالحًا فيه الخصب وفيه لين العيش ، وهاجر صالح من ديار قومه حين تأذن الله ليرسلن عليهم العذاب الأليم ، وهاجر هود عليه السلام يوم أرسل الله على قومه الريح العقيم .

وتلك سنة من سنن الله لن تتحول ولن تتبدل ، وما من نبي إلا عاش غريبًا في أمته ، ثم رد الله غربته ، وليس الغريب من يعيش في مكان قصيٍّ ناءٍ عن أهله وسكنه وأولي قرابته ، بل الغريب من يعيش في مسقط رأسه بين أهله وعشيرته ، ولكنه لا يجد من بينهم من يشاكله في دين ولا عقيدة ولا خلق ولا فكرة ولا نظرة إلى الحياة .

الغريب من قضت عليه صروف الدهر أو تكاليف الحياة أو ضرورة العيش أن يعيش بين قوم ينكرون عليه عقيدته الصحيحة ودينه القويم وعلمه الحق الكريم ومواهبه التي اختصه الله بها ، والله يختص برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم .

عاش النبي ﷺ في مكة أربعين سنة وهو يحس الوحشة ويألم للغربة في بلده وبين ظهراني أهله وعشيرته

لما كان يرى منهم ما يجافي الفطرة السليمة وينبو عنه العقل الكامل الرجيح ، ولكنه كان يكبت شعوره ويكظم ألمه ، ويلقاهم بالوجه الطلق والنفس الرضية المطمئنة والبشر الذي يلين أقسى القلوب ، ولهذا كان موضع إكبارهم وإجلالهم وثقتهم ومشورتهم ، وكانوا يدعونه الصادق الأمين ، لما اختصه اللّه به من الخلق الكريم والشيم الرفيعة والسجايا النبيلة .

كان ينكر عليهم - في نفسه - إسفافهم في عقائدهم وإخلادهم إلى عبادة ما صنعت أيديهم أو أيدي أمثالهم من أصنام وأوثان لا تحس ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئًا .

كان ينعي عليهم تورطهم في كبائر الإثم والفواحش ؛ لأن فطرته السليمة التي فطره اللّه عليها لم تكن تسكن إلى ذلك ولا ترضاه ، بل كانت تنفر منه أشد النفور وتشمئز كل الاشمئزاز ، ولكنه لم يكن يعلن إنكاره ونفوره واشمئزازه ؛ لأنه ما كان يريد أن يسيء

إليهم ولا أن يؤذيهم ، ولا أن يطعن في دينهم وعاداتهم وما كانوا يعتقدون ، وكان يكتفي من الإنكار بالبعد عنهم وعدم مشاركتهم فيما لا يرضى ، كان يعاملهم معاملة الغريب الحازم الأريب إذا حل دار قوم يخالفونه في عاداته وأحواله ، ويخالفهم في دينهم وعقيدتهم ، يضمر إنكاره في نفسه ، ولا يظهر اشمئزازه من عاداتهم السيئة ، ولا يبدي اعتراضًا على سلوكهم الشائن ، بل يعاشرهم أجمل معاشرة ويبذل لهم من الود والإحسان والمعروف ما يحله من قلوبهم في مكان الإجلال والإكبار .

فلما ضاق ذرعًا بهذا الباطل الذي لم يستطع حيلة لدفعه ولم يهتد سبيلاً لكفاحه ، وعلم أن الحق غير ما عليه أهله ، ولكنه لم يعرف مكانه ، طفق يلتمسه في العزلة والخلوة والتأمل ، فكان يخلو بغار حراء الليالي ذوات العدد ، يفر مما يكره ، ويبحث عما يحب ، حتى جاء الحق من ربه وبعث إليه الملَك الذي كان يبعثه إلى الأنبياء والمرسلين من قبله ، فثلج صدره ، وقرت عينه ، وأحس برد اليقين وغمرته أنوار الهداية .

ثم كلفه اللّه تعالى أن يصدع بما يُؤمر ، وأن يعرض عن المشركين ، فأظهر لهم ما كان يخفي عليهم ، وأبدى ما كان يكتم ، وقال لهم : ((إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) ، ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ [الصافات : ٤، ٥] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف : ١٩٤، ١٩٥] .

وتحداهم بكتاب كريم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بهرهم بروعة أسلوبه ، وحسن بيانه ، وقوة حجته ، وسمو بلاغته ، وإخباره بالغيب ، فرموه بالكذب والسحر والجنون ، وسموا كتابه أساطير الأولين ، وقالوا : إنما يعلمه بشر ، فرد الله على كل فرية رموه بها ، وأبطل كل إفك قذفوه به ، وقال : ﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ [الفرقان: ٣٣] .

وقضى بين ظهرانيهم بعد الرسالة ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى ما فيه سعادتهم

ونباهة شأنهم في الدنيا والآخرة ، فما استجاب له إلا المستضعفون .

وكانوا يتقاسمون ليؤذونه أذى بليغًا ، فإذا لقوه خارت قواهم وفترت عزائمهم وتراخت أوصالهم وعلتهم رعدة وتصبب العرق على جباههم ، فإذا انصرفوا عنه عجبوا لأنفسهم كيف فاتهم تنفيذ ما كانوا يبتغون .

هيبة اختصه الله بها ، ونظرات وديعة يرمقهم بها فتقع كالسهام في سويداء قلوبهم فترِدهم جبناء رعاديد ، وما يبدئ الباطل وما يعيد .

فكانوا يُغرون به سفهاءهم الذين اختلت أعصابهم وضعفت عقولهم ومشاعرهم حتى صاروا كالبهائم العجم ، وحتى هؤلاء ما كانوا يستطيعون أن ينالوه بأذى إلا من خالفه حين يسجد لربه ، ليتقوا نظراته التي لا قبل لهم باحتمال وقعها في نفوسهم ، ولما ضاقوا ذرعًا بأمره طفقوا يمكرون به ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه .

أذن الله له في الهجرة إلى المدينة ، فهاجر من مكة وغادر بها ذكريات عزيزة عليه ، وأماكن لها في قلبه مكان أمين ، فلا تعجب إن علمت أنه وقف بظاهر مكة ، ثم رمقها بنظرة وقال : « إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » .

انتقلت الدعوة من مكة إلى المدينة ، فكسبت بانتقالها ميدانًا جديدًا ، وصادفت جوًّا صالحًا وتربة خصبة ، فأثمرت وأزهرت وآتت أكلها شهيًّا لذيذًا .

إن فـي الهجـرة لعـبرة للمصلحين والداعين إلى الخير والمقتفين آثار رسول اللّه ﷺ إذا نبا وطنك بدعوتك فلا عليك أن ترتاد ميدانًا جديدًا ، وعليك أن تضحي بحبك لجدران دارك فـي سبيل الحـق الـذي تدعـو إليـه ، فـالحق لا وطـن لـه ، وحيث وجدت من ينصـر الحق معـك فهنـاك وطنـك الـذي لا ينبغي أن تعـدل بـه وطنـًا أو تبغي عنه حولاً .

إذا خذلك أهلك وبنو وطنك ووجدت من دونهم من ينصرك ويؤيـدك فهـم أهلـك وهـم عشيرتك فلا تؤثر عليهم أحدًا .

إن الحق يغطيه ركـام مـن العادة والوراثة وآثار البيئة ، وهـذا الركـام لا يمكـن أن ينكشف مرة واحدة ؛ فلا ينبغي للمصلح أن ييأس من روح اللّه مهمـا يبطئ النصـر أو تـتراخ مـن دونـه الأيام ، فـلا بـد أن يظهر الحق مع إدمان الجهاد ، فمن سار على الدرب وصل ، ومـن أدمـن قـرع البـاب ولـج ، والعاقبة للصابرين .

مكث الإسلام في مكة ثـلاث عشرة سنة لا يدخل فيهـا إلا الضعفـاء والأرقـاء أفـرادًا ، ولكـن الرسـول عليـه الصـلاة والسلام لم يـتراجع ولـم ينهـزم ولم ييأس على الرغم مـن كـل ما كان يلقى من كيد واستهزاء وسخرية ، حتى أثمر له صبره وجهاده وثباته ميدانًا جديدًا ، فهـاجر إليـه ، فظهـر الإسـلام بهذه الهجرة ، ولـم يمـض بعد ذلك ثمـان سنوات حتـى دخـل النـاس فـي دين اللّه أفواجـًا ، وكتب اللّه لدينـه الظهور علـى الدين كله .

علينـا أن نأتسـي برسـول اللّه ﷺ في قوة إرادته ومضاء عزمـه وصـبره ومثابرتـه واحتمالـه وتضحيتـه وإيمانـه بـالحق وثقتـه بمصـير الصـابرين ، ويقينـه وحلمـه وسعة صدره ، وجميع مظاهر خلقه الكريم إن أردنا أن يكتب اللّه لنـا النصـر ونكـون مـن الفائزين .

الشمس طالعة تثبت الضوء في كل مكـان ، وتنشـر الدفء فـي كل ناحيـة ، ولكـن ليـس يدركهـا مـن كـان علـى بصـره غشـاوة ، أو كـان جسـمه فـي خدور ، هو معذور إن اعترف بأنه لا يرى ولا يحس ، وسلم للمبصرين الذين يحسون . أمـا إن بلغ به التبجح والغرور إلـى حد أن ينكر على المبصرين مـا تمكنهم سلامة حواسـهم مـن رؤيته ، وحال أن يصدهـم عن التعبير عن شعورهم ، فـلا بـد أن يؤخـذ علـى يـده ليتمتـع سـليمو الحـواس بمشـاعرهم ويعبروا عما يشعرون .

لو أن الكافرين سلموا للنبي ﷺ بمـا شـعر بـه ومـا يحسـه وتركـوه يـؤدي رسـالة ربـه مـا شهر في وجوههم سيفـًا ، ولا صوب إلـى صدورهـم سهمـًا ، ولكنهم عارضوه ، ووقفوا فـي سـبيله ، وصـدوه عـن أداء رسـالته ، فـاقتضت سـنة العمران أن ينحيهم من طريقه ليمضـي قدمـًا نحـو غايتـه ، فحاربهم وكتب اللّـه لـه النصر والظفر : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

فلنستفد مـن درس الهجـرة النافع المثمر ، ولتكن لنـا فـي رسول اللّه ﷺ أسوة حسـنة ، ولنعتصم بالصبر والثبات ، فإن اللّه مع الصابرين .

* * *

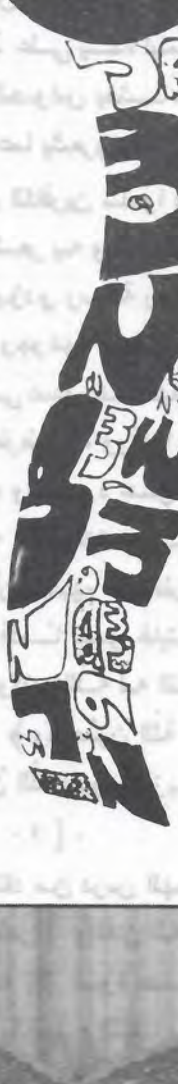

الطريق إلى تقويم اللسان

بقلم الدكتور / سيد خضر

الحلقة السابعة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ، وبعد :

فإن اللغة العربية وعاءُ الحضارة الإسلامية ، ولا شك أن حفظ الوعاء وصيانته يضمن حفظ ما فيه ، وأنَّ أي ثَلْمٍ أو ضعف فيه يعني ضعف ما فيه ، من هذا المنطلق ننظر إلى لغتنا وعاء حضارتنا ، وندعو إلى تعلّمها وتعليمها والتعليم بها في كل مراحل الدراسة ، وإن تعليم العلوم الحديثة بغير العربية لهو ضربٌ لها في عقر دارها ، وإن دولاً وأقوامًا أقل حضارة وأحدث نشأة منا تعلّم العلوم كلها بلغاتها الأصلية ، ولنا فيما يفعله اليهود واليابانيون والكوريون ... إلخ مثل وعبرة .

والمترفون في بلادنا يسارعون إلى تعليم أولادهم في مدارس وجامعات تحتقر العربية ، فلا تعلّم بها ، فتنشأ أجيالٌ مقطوعة الصلة بدينها وحضارتها ، ولا يوجد بلد في العالم كله يفعل بتعليمه ما نفعله نحن في مصر ، والنتائج السلبية نراها كل يوم ونلمسها . إن العربية التي ارتقت إلى حمل رسالة الله تعالى إلى البشرية لن تعجز عما هو أقل شأنًا وأسهل مأخذًا ، ورحم الله حافظ إبراهيم إذ يقول على لسانها :

وسِعْتُ كتابَ اللهِ لفظًا وغايةً
وما ضقتُ عن آيٍ به وعظاتِ
فكيف أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلةٍ
وتنسيقِ أسماءٍ لمخترعاتِ ؟

وبرنامجنا في مجلة التوحيد الغراء برنامج عملي ، بمعنى أننا بدل أن ننفق الوقت في الحديث عن تعليم العربية والاهتمام بها نقوم عمليًا بتعليمها وتقريبها إلى الناس ، سائلين الله تعالى التوفيق والمعونة ، وكنا قد ابتدأنا الحديث عن « كان وأخواتها » ، ونتابع ذلك فنقول :

٢- ظلَّ : وتفيد مع معموليها : (اسمها وخبرها) اتصاف اسمها بمعنى خبرها لمدة من الزمان ومنه :

أ- ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل : ٥٨] ، تفيد ﴿ ظلَّ ﴾ في الآية اتصاف المبشَّر بسواد الوجه حالَ علمه بأنه رُزق أنثى ، وهو من أخلاق الجاهلية التي ذمَّها القرآنُ ، ﴿ ظل ﴾ : فعل ماض ناقص مبني على

الفتح ، ((وجهُ)) : اسمها مرفوع ، وهو مضاف ، والهاء ضمير مبني في محل جر مضاف إليه ، ﴿ مُسْوَدًّا ﴾ : خبر ظل منصوب بالفتحة الظاهرة .

ب- ويأتي خبرها جملةً فعلية في محل نصب ، كما في ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ [الحجر : ١٤] ، واو الجماعة ضمير مبني في محل رفع اسم ظل ، ﴿ يعرجون ﴾ : جملة فعلية في محل نصب خبرها .

ج- ويأتي اسمها ضميرًا مستترًا ، كما في قوله : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ [الشعراء : ٧١] . اسم ظل ضمير مستتر وجوبًا تقديره نحن، ﴿ عاكفين ﴾ : خبرها منصوب بالياء.

د- وتحذف إحدى لاميها للتخفيف ، كما في : ﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ [طه : ٩٧] ، ﴿ ظَلْتَ ﴾ : أصلها ظللت ، حذفت لامُها الثانية للتخفيف ، والتاء في محل رفع اسمها ، ﴿ عاكفًا ﴾ : خبرها منصوب ، وجملة ظل مع معموليها لا محل لها صلة الموصول .

٣- **أصبح** : وتفيد مع معموليها اتصاف اسمها بمعنى خبرها في وقت الصباح غالبًا ، وتوسع العرب في استعمالها ، فجعلوها للزمان غير المحدد ، ومن الأول قولك : أصبح محمدٌ نشيطًا ؛ أي اتصف بالنشاط في وقت الصبح ، فإن أردت اتصافه بذلك على الدوام وأنه قد صار عادة له احتمل الكلام ذلك حسب السياق ، محمد : اسم أصبح مرفوع ، نشيطًا : خبرها منصوب ، ومنه قوله ﷺ : ((يعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَدٍ ، يضربُ مكانَ كلِّ عقدةٍ : عليك ليلٌ طويلٌ فارقُدْ . فإن استيقظ فذكر اللَّه انحلت عقدةٌ ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقَدُه كلها ، فأصبح نشيطًا طيبَ النفس ، وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلان)) . [البخاري ومسلم ، ((صحيح الجامع)) : (٨١٠٧)] .

اسم أصبح ضمير مستتر تقديره هو ، نشيطًا : خبرها منصوب وطيبَ خبر ثانٍ ، وخبيث : خبر أصبح الثانية منصوب ، وكسلان خبر ثان ، فهذا كله من اتصافها بذلك وقت الصباح ، ولكن العرب توسعوا في استعمالها ، فجعلوها لعموم الزمان ، ومنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦] ، ((تصبحوا)) : فعل مضارع ناقص منصوب بحذف النون عطفًا على ﴿ تصيبوا ﴾ ، والواو : اسمها في محل رفع ، ﴿ نادمين ﴾ : خبرها منصوب بالياء ، وهي لا تعني صباحًا معينًا ، بل هي للدوام والاستمرار ، واللَّه أعلم .

وقد تستعمل أصبح تامة بمعنى الدخول في وقت الصبح ، مثل : أصبح محمدٌ ، ومنه : أصبحنا وأصبح الملك لله ، أصبح الأولى : تامة بمعنى دخلنا في وقت الصبح ، و((نا)) فاعلها ، وأصبح الثانية تحتمل التمام والنقصان .

٤- **أضحى** : وتفيد مع معموليها اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافًا يتحقق وقت الضحى ، ثم توسعوا فيها ، فجعلوها للزمان الممتد ، ووقتُ الضحى بعدَ شروق الشمس بنصف ساعة إلى ما قبل صلاة الظهر بنصف ساعة تقريبًا ، وفيه صلاة نافلة تسمى صلاة الضحى أقلها ركعتان وأكثرها ثمان ، وأصل الضحْو في اللغة البروز إلى الشمس ، ولم يأت هذا الفعل ناقصًا في القرآن الكريم ، ومن الناقص : أضحى العمال مشغولين بأعمالهم ، فذلك في وقت الضحى ، فإذا أردت الدوام قلت : أضحى الجهادُ فرضًا لتحرير فلسطين. أما قوله تعالى لآدم عليه السلام عن الجنة : ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ [طه : ١١٩] ، فـ ﴿ تضحى ﴾ هنا فعل تام بمعنى التعرض لحرِّ الشمس ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، وتأتي تامة كذلك بمعنى الدخول في وقت الضحى كقولك : أضحينا.

٥- أمسى : وتفيد مع معموليها اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافًا يتحقق مساءً ، ثم توسعوا فيها فجعلوها للزمان الممتد ، فمثال الأول : قولك : أمسى المسافرُ مجهودًا ، والثاني قولك : أمسى التقدمُ العلميُّ هائلا في كل المجالات ، وتستعمل تامة ، كما في : أمسينا وأمسى الملك لله ، فالأول تام بمعنى دخلنا في وقت المساء ، والثاني يحتمل النقصان والتمام ، ومن مجيء أصبح وأمسى تامين بمعنى الدخول في وقت المساء والصباح قوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم : ١٧] ، ﴿ سبحان ﴾ : مصدر منصوب بمعنى سبحوا ، وهو مضاف ، ﴿ الله ﴾ : لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، ﴿ حينَ ﴾ : ظرف زمان منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف ، ﴿ تمسون ﴾ : فعل وفاعل في محل جر بالإضافة إلى حين ، ومثله : ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ .

* من نوادر اللغويين : جاء في ترجمة بكر بن حبيب السهمي والد المحدث عبد الله بن بكر في « بغية الوعاة » للسيوطي (٤٦٢/١) : قال عبد الله : دخل أبي على أبي عيسى بن جعفر بن المنصور أمير البصرة ، فعزّاه بطفل مات له ، ودخل بعده شبيب بن شبة المنقري ، فقال : بلغَنا أن الطفل لا يزال مُحْبَنْطِئًا على باب الجنة يشفع لأبويه ، فقال له أبي : يا أبا مَعْمَر ، دع الظاء والزم الطاء .. فقال شبيب : أتقول لي هذا وما بين لابَتَيها أفصحُ مني ؟ فقال أبي : وهذا خطأ ثان ، من أين للبصرة لابة ، اللابة : الحجارة السود ، والبصرة ذات الحجارة البيض . اهـ .

قلت : تواردت الأحاديث بأن الطفل إذا مات قبل أن يبلغ الحلم واحتسبه والده وصبرا على ذلك ورضيا بقضاء الله تعالى وقدره ، إذا حدث ذلك شفع ذلك الطفل لأبويه يوم القيامة .

جاء في « لسان العرب » : المحبنطئ : اللازق بالأرض ، وفي الحديث : إن السقْطَ ليظلُّ مُحْبنطيًا على باب الجنة .. فسّروه : متغضّبًا ، وقيل : المحبنطئ : المتغضب المستبطئ للشيء .. وقال ابن الأثير : المحبنطئ : بالهمز وتركه : المتغضّب المستبطئ للشيء . « لسان العرب » : (حبط) .

ولم أجد الحديث بهذا اللفظ في شيء من كتب الحديث التسعة المشتهرة ، ولا في « المعجم المفهرس » لألفاظ الحديث النبوي ، وجاء في كتاب « الفائق في غريب الحديث » للعلامة الزمخشري (٢٥١/١) قال : قال - أي رسول الله ﷺ - في السقط : « يظل محبنطيًا على باب الجنة » . ثم فسره ، فقال : احبنطيت : من حَبِط ، إذا انتفخ بطنه . والمعنى أنه يظل منتفخًا من الغضب والضجر . اهـ .

قُلْتُ : إنما يغضب تدللًا على رب العزة ؛ لأنه سقطٌ غير مكلف .. وذلك حتى يشفع لأبويه .

وقد وجدت الحديث بغير اللفظ المذكور في « مسند » الإمام أحمد ، رحمه الله ، قال : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا حريزٌ قال : حدثنا شرحبيل بن شفعةَ عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « يقال للولدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة ، قال : فيقولون : يا رب ، حتى يدخل آباؤنا ، وأمهاتنا ، قال : فيأتون ، قال : فيقول الله عز وجل : ما لي أراهم محبنطئين ؟ ادخلوا الجنة ، قال : فيقولون : يا رب ، آباؤنا وأمهاتنا ، قال : فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » . انظر « مسند » الإمام أحمد (١٠٥/٤ ، الحديث ١٦٩٧٣) .

وقد انفرد به الإمام رحمه الله من بين أصحاب الكتب التسعة ، ورواته ثقات ، وهو بمعنى الأحاديث المتقدمة .

ومن هذا كله يتضح أن اللفظ بالطاء لا بالظاء ، أما اللابة فهي الحَرَّة ، وهي الحجارة السوداء ، وأما البصرة فهي الحجارة البيضاء ، وبها سميت مدينة البصرة في جنوب العراق . والله الموفق .

* * *

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ .

تهنئة

تهنئ جمعية أنصار السنة المحمدية الأخ الدكتور / مصطفى أحمد عبد العليم ، المدرس المساعد بكلية دار العلوم والمدرس بمعهد إعداد الدعاة بمناسبة حصوله على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى ، وتسأل الله له دوام التقدم .

وكانت الرسالة قد نوقشت بكلية دار العلوم يوم الأحد الموافق ١٢ من ذي القعدة ١٤١٩ هـ ، ٢٨ من فبراير ١٩٩٩ م ، وعنوانها : « السمات النحوية بين المكي والمدني في القرآن الكريم » بإشراف الأستاذ الدكتور / محمد عبد المجيد الطويل ، أستاذ ورئيس قسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم ، وشارك في المناقشة الأستاذ الدكتور إبراهيم حسن إبراهيم رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، والأستاذ الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم .

تنويه

يرجى من الأخوة مشتركي مجلة التوحيد والذين يرسلون حوالات بريدية إلى المجلة أن يقوموا بإرسال حوالات بريدية داخلية وليست أميرية حكومية ، مع كتابة العناوين بخط واضح .

وجزاكم الله خيرًا .

مكتبة دار الصحابة

يسعدها أن تقدم موسوعة صحيح التوثيق فى تاريخ الاسلام و المسلمين فى ألف عام.

بقلم فضيلة الشيخ/ مجدى فتحى السيد

انطلاقاً من أن التاريخ هو حضارة الأمم و أن أمة لا تاريخ لها فبالتالى لا هوية لها فقد صدرت هذه الموسوعة فى تسعة مجلدات ، و تمتاز هذه الموسوعة عن غيرها بأنها تعتمد على ما صح فقط من الآثار و عالجت التشويه المتعمد للتاريخ الإسلامى مدعماً ذلك كله بالأدلة و منتظر إصدار سلسلة أخرى بإذن الله "ما لم يصح من التاريخ" مع ذكر الأدلة على ذلك دفاعاً عن تاريخنا المجيد الذى علم الأمم

DESING & COLOR SEPARATION BY SOFT SCREEN - TEL - 3026328 - 3452907

مكتبة دار الصحابة للتراث بطنطا

ت : ٣٣١٥٨٧

تليفاكس : ٣١٢٢٧١